جامعة الأزهر
كلية أصول الدين بالقاهرة
قسم التفسير وعلوم
القرآن

مطلـع البدر
بتفسير سورة القدر

إعداد
دكتور/ ياسر أحمد مرسي محمد سطوحي
مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بالقاهرة.

مقدمة

الحمد لله مُعزِّ مَن أطاعه واتقاه، ومُذلِّ مَنْ خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا إله غيره، ولا ربَّ سواه، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله، اجتباه ربُّه واصطفاه، صلى الله وسلَّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومَنْ اهتدى بهداه. أمَّا بعد:

فإنَّ ليلة القدر ليلةٌ شريفةٌ مباركةٌ، فخَّم الله أمرها، ورفع قدرها، وأعلى شأنها، وأنزل في قرآنه المجيد سورةً تُتلى إلى يوم القيامة تُسمَّى باسمها، وتذكر فضائلها وتُعدِّد خصائصها، وخير البيان بيان الله، فأردتُ من خلال هذا البحث المتواضع - الذي وسمتُه بـــــ: (مطلع البدر بتفسير سورة القدر) - الوقوف على أسرار آيات تلك السُّورة وأنوارها، وإبراز فضائل تلك اللَّيلة الشريفة ومزاياها كما جلَّاها بيان الله، ولمَّا كان المنهج التحليلي - الذي يقوم على تحليل النص تحليلًا وافيًا- من أفضل مناهج تفسير القرآن الكريم؛ لدقته وتعرضه لكل ما يتعلق بالآية القرآنية من كلِّ جهةٍ أردتُ أن أتبعه في دراستي لهذه السُّورة الكريمة.

محتويات البحث:

وقد قسَّمتُ البحث بعد هذه المقدمة إلى تمهيدٍ، ومقصدٍ، وخاتمةٍ.

أمَّا المقدمة ففيها بيان أسباب اختياري هذا الموضوع، والمنهج العلمي الذي سار عليه البحث، ورسم الخطة الفنية له.

وأمَّا التمهيد ففيه ثمانية مطالب قدَّمتُ بها بين يدي تفسير السُّورة الكريمة:

المطلب الأول: أسماء السُّورة الكريمة ووجه التسمية بها.

المطلب الثاني: عدد آياتها وكلماتها وحروفها.

المطلب الثالث: موضوعها.

المطلب الرابع: تحقيق القول فيما ورد في فضلها.

المطلب الخامس: زمان نزولها.

المطلب السادس: ترتيبها.

المطلب السَّابع: تحقيق القول فيما ورد في سبب نزولها.

المطلب الثامن: مناسبتها لما قبلها.

وأمَّا المقصد فضمَّنته التفسير التحليلي لسورة القدر، واشتمل على ما يلي:

- القراءات الواردة في السُّورة الكريمة.
- المباحث العربية، وفيها: (معاني المفردات، الإعراب، اللطائف البلاغية).
- مسائل التفسير.

وأمَّا الخاتمة فاشتملت على الفوائد المستنبطة من بيان السُّورة الإلهي, والفهارس, وأهم المصادر والمراجع.

وقد حاولتُ – قدر طاقتي – أن يكون تفسيري للسُّورة الشريفة سهل التناول، واضح المقصود، مفهوم العبارة، بعيدًا عن الغموض والإبهام، وافي الغرض الذي سيق من أجله، وبذلت فيه – حسب ظني– قصارى جهدي للوصول به إلى المستوى المنشود، وإنِّي لأدعو الله أن يهديني إلى الصَّواب، وأن يُجنَّبني ما به أُعاب، وأن يجعله ذخرًا لي ولوالدي يوم يقوم الحساب، اللهم اجبر خللي، واغفر زللي، وأخلص لوجهك عملي، إنَّك نعم المولى ونعم النصير.

وصلى الله وسلم علي سيدنا محمدٍ وعلي آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

دكتور

ياسر أحمد مرسي محمد

سطوحي
مدرس التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين بالقاهرة.

تمهيد

بين يدي السُّورة الكريمة

وفيه ثمانية مطالب

المطلب الأول: أسماء السُّورة الكريمة ووجه التسمية بها:

ذكر علماء التفسير وأهل الفقه بالقرآن لسورتنا الكريمة أربعة أسماء تتميَّز بها عن غيرها، وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على شرفها؛ إذ كثرة الأسماء تدلُّ على شرف المُسمَّى كما هو معلوم، وهذه الأسماء هي:

١ - سورة القدر، وهو الاسم الذي عُرفت به في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة(١).

٢ - سورة { **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَة الْقدر**}(٢) تسمية لها بأول آيةٍ فيها، وقد وردت هذه التسمية عن ابن عبَّاسٍ، وابن الزُّبير، وعائشة – رضي الله عنهم – كما أفاده السيوطي – عليه الرحمة- في الدر المنثور(٣).

٣ – سورة { **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ** } بالاقتصار على مفتتحها، عنون لها بذلك الإمام البخاري في صحيحه، والفيروز أبادي في البصائر، والحاكم في المستدرك، والهيثمي في المجمع(٤).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٤٥٥/٣٠).

(٢) القدر: ١.

(٣) حيث قال: " أخرج ابْن مرْدَوَيْه عَن ابْن عَبَّاسٍ قَالَ: نزلت سُورَة {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَة الْقدر} بِمَكَّة، وَأخرج ابْن مرْدَوَيْه عَن ابْن الزُّبير وَعَائِشَة مثله".أهـ.الدر المنثور (٥٦٧/٨) .

(٤) ينظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله- ﷺ- وسننه وأيامه – كتاب تفسير القرآن – باب سُورَة {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ} (١٧٥/٦)، وبصائر ذوي التمييز (٥٣١/١)، والمستدرك – كتاب التفسير (٥٧٨/٢)، ومجمع الزوائد- كتاب التفسير – باب سُورَة {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ} (١٣٩/٧) .

٤ – سورة ليلة القدر، عنون لها بذلك الإمام الترمذي في جامعه، والجصَّاص الحنفي في أحكام القرآن(١).

والمتأمل في هذه الأسماء الأربعة يرى أنَّ الاسم الأول والرابع – أعني تسميتها بالقدر، وبليلة القدر- من قبيل التسمية بالعلم، أمَّا الاسم الثاني والثالث – أعني تسميتها: بـــ{ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقدر**}(٢)، و{ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ**} – فهي من باب المجاز المرسل(٣) من إطلاق الجزء وإرادة الكل، أو من باب الاستعارة المكنية(٤)، والجامع فيها بين المشبَّه (المذكور) والمشبَّه به (المحذوف) هو مطلق

---

(١) يُنظر: جامع الترمذي- كتاب التفسير- باب ومن سورة ليلة القدر (٤٤٤/٥)، رقم (٣٣٥٠)، وأحكام القرآن للجصَّاص (٣٧٣/٥)، والتحرير والتنوير (٤٥٥/٣٠) .

(٢) القدر: ١.

(٣) المجاز المرسل: هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة ومناسبة غير المشابهة كاليد إذا استعملت في النعمة، لما جرت به العادة من صدورها عن الجارحة، وبواسطتها تصل إلى المقصود بها. ويجب أن يكون في الكلام دلالة على رب تلك النعمة ومصدرها بنسبتها إليه ومن ثَمَّ لا تقول: اقتنيت يدًا، ولا اتسعت اليد في المد، كما تقول: اقتنيت نعمة، وكثرت النعمة في البلد، وإنَّما تقول: جلست يده عندي، وكثرت أياديه لديَّ، أو ما شابه ذلك. يُنظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (٤٦٢/٣، ٤٦٣)، وعلوم البلاغة للشيخ أحمد المراغي (ص: ٢٤٩).

(٤) الاستعارة المكنيَّة: هي التي لا يُصرح فيها بلفظ المشبَّه به، بل يحذف ويرمز له بلازم من لوازمه، ومن أمثلتها: وَإِذَا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا *** أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ.
فهنا شبَّه المنيَّة بالسبع، ثم حُذف المشبَّه به، ورُمز له بلازمه، وهو الأظفار، وأثبت هذا اللازم للمشبَّه؛ فالمنيَّة أو السبع استعارة مكنيَّة. والفرق بينها وبين الاستعارة التخييليَّة – على رأي جمهور البلاغيين- أنَّ المكنيَّة: هي لفظ المشبَّه به المستعار في النفس للمشبَّه، والمحذوف المدلول عليه بشيء من لوازمه.
والتخييليَّة: هي إثبات لازم المشبَّه به للمشبَّه، ويُقال في إجراء الاستعارتين في البيت المذكور: شُبهت المنيَّة بالسَّبع بجامع الاغتيال في كلٍّ، ثم تُنوسي التشبيه، وادّعي دخول المشبَّه في جنس المشبَّه به، ثم قُدِّر في النفس حذف المشبَّه به، ورُمز إليه بشيء من لوازمه، وهي الأظفار على

التمييز الحاصل في كلٍّ، وتسمية السور إن كانت بالعلم أيًّا كان نوعه، أو كانت بالوصف فإنَّه يُطلب لها سرٌ، وأمَّا إن كانت التسمية بما ليس علمًا ولا وصفًا كأن تطلق على السُّورة جملة من أولها لم تتكرر في غيرها بقصد التمييز لها عمَّا عداها من السُّور، فإنَّه لا يُطلب لها سرٌ وراء مجرد التمييز الذي وصفنا(١).

فإن قلتَ: ما السِّرُ إذن في تسمية سورتنا الكريمة(٢) بالقدر، وبليلة القدر؟

قلتُ: أمَّا **سر تسميتها بالقدر**، فظاهرٌ من وجوه:

أولها: تكرار لفظ (القدر) فيها ثلاث مرات.

وثانيها: لأنَّه لم يقع في غيرها من السور.

وثالثها: ترابط موضوع السورة بهذا الاسم، وذلك أنَّ السُّورة الكريمة تدور في فلك الإعلاء من قدر القرآن، والتنويه بشرفه وفضله، ورفع قدر تلك الليلة التي بدأ نزوله فيها على قلب الرسول الأكرم – ﷺ–.

سبيل الاستعارة المكنية، ثم أثبتت الأظفار للمنيَّة على سبيل الاستعارة التخييليَّة. يُنظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (١٨٤/٢-١٨٧)، والمنهاج الواضح للبلاغة لحامد عوني (١٢٠/١ – ١٢٣).

(١) هذا ما حقَّقه العلَّامة الأستاذ الدكتور/إبراهيم خليفة – طيب الله ثراه. ينظر: التفسير التحليلي لسورة النساء (ص: ١٤- ١٦)، وبحثان حول سور القرآن: (ص:١٨، ١٩).

(٢) فائدة معرفة سر تسمية السُّور تتجلى في الوقوف على جانبٍ من حكمة الله- تعالى- البالغة في كتابه الكريم إن كانت التسمية توقيفية، أمَّا إن كانت اجتهادية ففائدة معرفة سرِّها حينئذٍ تكمن في إبراز عناية علماء الأمة بكتاب ربهم حيث لم يختاروا له إلا أجلَّ الأسماء وأبلغها حكمة، كما تدلُّ على حسن تدبر الأئمة المجتهدين، وصحة فهمهم، ورجاحة عقلهم، وسلامة ذوقهم، حيث اختاروا ما اختاروه من أسماء السُّور عن تبصرٍ واعتبارٍ وحكمةٍ. ينظر: التفسير التحليلي لسورة النساء (ص: ١٤)، وبحثان حول سور القرآن: (ص: ١٧، ١٨) بتصرفٍ كبيرٍ، وتقديمٍ وتأخيرٍ.

وأمَّا وجه تسميتها بليلة القدر؛ فلحديثها عن فضائل تلك الليلة، وإظهار شرفها وعلوِّ قدرها على سائر الليالي والأيام، فهي ليلةٌ مباركةٌ مشهودةٌ يحفّها الخير، وتغشاها الرحمة، وتحضرها الملائكة، وتُضاعف فيها الحسنات، وتكفَّر الذنوب والسيئات، وترفع الدرجات، وهي ليلة السلامة من الآفات، من مبدئها إلى نهايتها، ولم تُذكر فضائل تلك الليلة إلا في هذه السُّورة. والله أعلم.

المطلب الثاني: عدد آياتها وكلماتها وحروفها:

أمَّا آياتها فمختلفٌ في عدِّها على قولين:

الأول: ستٌّ في عدِّ الشامي والمكي، والثاني: خمسٌ في عدِّ الكوفيِّ والمدنييْن والبصريِّ، وهو المختار وعليه عدُّ مصاحفنا.

واختلافهم في لفظ (القدر) الثالث في قوله – تعالى-: « **لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**»(١) حيث عدَّه المكيُّ والشاميُّ، ولم يعدَّه الباقون. وتقييده بالثالث؛ لإخراج الأول والثاني المتفق على عدِّهما، وهما: {**فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**}(٢)، و{**مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ**}(٣). **وفواصلها:** على الرَّاء.

---

(١) القدر: ٣.

(٢) القدر: ١.

(٣) القدر: ٢. وينظر: البيان في عد آي القرآن للداني (ص: ٢٨١)، وجمال القراء وكمال الإقراء (ص: ٣١٦)، والفرائد الحسان في عد آي القرآن لعبد الفتاح القاضي (ص: ٧٣).
وممَّا ينبغي التنبيه عليه في هذا المقام أنَّ هذا الاختلاف في عدد الآيات لا يمسُّ حقيقة القرآن في شيء، حيث إنَّ القرآن المقروء، أو المكتوب واحد عند جميع العلماء في المشرق والمغرب، في القديم والحديث، لا ينقص كلمةً هنا ولا حرفًا هناك، وإنَّما غاية الأمر أنَّهم اختلفوا في عدِّ وتقسيم هذا الكمِّ القرآني إلى آياتٍ، ومن أسباب ذلك:
- اختلافهم في اعتبار الحروف الفواتح مثل الم طه يس ق آية، أو جزءً من آية.

وأمَّا كلماتها فثلاثون كلمة. **وأمَّا حروفها** فمائة واثنتا عشرة حرفًا(١).

المطلب الثالث: موضوعها:

الناظر في آيات السُّورة الكريمة يُدرك من أول وهلة أنَّ موضوعها الذي تدور حوله هو الحديث عن فضائل تلك الليلة المباركة – ليلة القدر- التي شرَّفها الله ورفع قدرها، وفضَّلها على سائر الليالي والأيام، بابتداء إنزال القرآن فيها، وجعْل عبادتها خيرًا من عبادة ألف شهر، ونزول الملائكة الكرام يتقدَّمهم جبريل – عليه السَّلام- بالرحمات والخيرات والبركات، من مبدئها إلى نهايتها. يقول الفيروز آبادي - رحمه الله - في بصائره: " معظم مقصود السُّورة: بيان شرف ليلة القدر في نصِّ القرآن، ونزول الملائكة المقرّبين من عند الرحمن، واتصال سلامهم طوَال اللَّيل على أَهل الإيمان".أهـ(٢).

المطلب الرابع: تحقيق القول فيما ورد في فضلها:

لم يثبت في فضل قراءة سورة القدر خاصةً حديثٌ صحيحٌ ثابتٌ عن رسول الله – ﷺ - بل كلُّ ما ورد في ذلك روايةٌ ذكرها بعض المفسِّرين في مقدمة تفسيره لهذه السورة الكريمة، كالإمام الثعلبي – رحمه الله وعفا عنه- حيث أخرجها بسنده إلى أُبيِّ بن كعب – رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ-:

- اختلافهم في اعتبار البسملة آية، أو فاتحة للسورة فحسب.

- اختلافهم في عدِّ ما وقف عليه النبي- ﷺ- أثناء قراءته للقرآن، وما وصله. وعلى هذا فالاختلاف بين العلماء في هذا الشأن إنَّما هو اختلاف شكلي. والله أعلم. يُنظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة ص: ٢٣٢ بتصرف.

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز (٥٣١/١)، ولباب التأويل للخازن (٤٥٥/٤)، والسراج المنير للخطيب (٥٦٤/٤).

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز(٥٣١/١).

« وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْقَدْرِ أُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ كَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَأَحْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ »(١).

وتبعه تلميذه الواحدي- طيب الله ثراه - حيث أخرجها بسنده إلى أُبيّ - في أول تفسيره للسُّورة- في الوسيط(٢). وبعضهم ذكرها في خاتمة تفسيره للسُّورة، كالعلامة الزمخشري، وقلَّده في صنيعه القاضي البيضاوي– عليهما سحائب الرحمة -(٣).

وقد نبَّه علماؤنا - رحمهم الله تعالى – على وضع هذه الرواية، وأجمعوا على ردِّها؛ فهي جزءٌ من الحديث الطويل المشهور المُفترى على أُبيّ بن كعب في فضائل سور القرآن سورةً سورةً (٤).

ومن هؤلاء العلماء: العلامة ابن الصَّلاح حيث يقول – عليه الرحمة - في معرض كلامه على الحديث الموضوع:" وَهَكَذَا حَالُ الْحَدِيثِ الطَّوِيلِ الَّذِي يُرْوَى عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي فَضْلِ الْقُرْآنِ سُورَةً فَسُورَةً. بَحَثَ بَاحِثٌ عَنْ مُخْرَجِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَنِ اعْتَرَفَ بِأَنَّهُ وَجَمَاعَةً وَضَعُوهُ، وَإِنَّ أَثَرَ الْوَضْعِ لَبَيِّنٌ عَلَيْهِ، وَلَقَدْ أَخْطَأَ الْوَاحِدِيُّ الْمُفَسِّرُ، وَمَنْ ذَكَرَهُ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ فِي إِيدَاعِهِ تَفَاسِيرَهُمْ(٥)، وَاللَّهُ أَعْلَمُ". اهـ(١).

---

(١) الكشف والبيان (٢٤٧/١٠).

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٥٣٢/٤).

(٣) ينظر الكشاف (٧٨١/٤)، وأنوار التنزيل (٣٢٧/٥).

(٤) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات – كتاب العلم- بَاب فِي فَضَائِل السُّور (٢٣٩/١، ٢٤٠)، وأورده السيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة – كتاب العلم- بَاب فَضَائِل الْقُرْآن (٢٠٧/١، ٢٠٨).

(٥) لكن ممَّا ينبغي أن يُعلم أنَّ مَنْ أبرز سند هذا الحديث كالثعلبي والواحدي فهو أبسط لعذره؛ إذ

ومنهم كذلك: العلامة الزركشي – رحمه الله – إذ يقول: " وأمَّا حديث أُبيِّ بن كَعْبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فِي فَضِيلَةِ سُوَرِهِ سُورَةً سُورَةً فَحَدِيثٌ مَوْضُوعٌ".أهـ(٢).

قلتُ: وعدم ورود حديثٍ صحيحٍ في فضل قراءة سورة القدر خاصَّةً لا يعني أنَّ قارئها لا يُثاب على قراءتها؛ فإنَّ فضل قراءتها داخلٌ في الثواب العام لقراءة القرآن الوارد في بعض الأحاديث الصحيحة، كقوله- ﷺ-: **« مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»**(٣).

المطلب الخامس: زمان نزولها:

يحسن بي قبل بيان زمان نزول سورة القدر أن أُنبِّه القارئ الكريم إلى أمرين يتعلقان بهذا المطلب:

أولهما: أنَّني عنونت بالزمان؛ لأنَّ التعريف الأصحّ الأشهر للمكيِّ والمدنيِّ: أنَّ المكيَّ ما نزل قبل الهجرة، والمدنيَّ ما نزل بعد الهجرة ولو كان نزوله في مكة. وهذا التعريف ضابط وحاصر لا تخرج عنه آيةٌ من آيات القرآن الكريم،

أحال ناظره على الكشف عن سنده، والبحث عن رواته، وإن كان لا يجوز له السكوت عليه، وأمَّا مَنْ لم يبرز سنده وأورده بصيغة الجزم، كالزمخشري والبيضاوي فخطؤه أفحش، وعذره أبعد. يُنظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للشيخ أبي شهبة ص: ٣٠٨.

(١) معرفة أنواع علوم الحديث، المعروف بمقدمة ابن الصلاح (النَّوْعُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ: مَعْرِفَةُ الْمَوْضُوعِ) ص: ١٠٠، ١٠١.

(٢) البرهان في علوم القرآن (النَّوْعُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ: مَعْرِفَةُ فَضَائِلِهِ) (٤٣٢/١).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه في أبواب فضائل القرآن- بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنَ القُرْآنِ مَالَهُ مِنَ الأَجْرِ (١٧٥/٥) رقم [٢٩١٠]، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ»، وصحَّحه محققه.

وعليه فإنَّ آية: {**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**}(١) مدنيَّة مع أنَّها نزلت يوم الجمعة بعرفة في حجة الوداع، وكذلك آية: { **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا** }(٢) مدنيَّة مع أنَّها نزلت في جوف الكعبة عام الفتح الأعظم؛ لأنَّ هاتين الآيتين نزلتا بعد الهجرة(٣).

ثانيهما: أنَّ أقصى ما يمكن الوقوف عليه في بيان زمان نزول الآيات والسُّور

هو الزمان العام - أعني: قبل الهجرة أو بعدها - أمَّا التحديد الدقيق لزمان النزول كيوم كذا، وشهر كذا، وعام كذا؛ فهذا ما لا يتأتَّى لباحثٍ أن يحيط به خبرًا؛

لأنَّه يحتاج إلى نقلٍ صحيحٍ عن الصَّحابة الذين شهدوا الوحي، وحضروا وقائع التنزيل، ومثل هذا النقل عزيزٌ، وإن شئتَ فقل: متعذرٌ باستثناء ما ورد في بعض الآيات والسُّور(٤).

إذا تمهَّد لك هذا؛ فاعلم أنَّ سورة القدر من السُّور المختلف في زمان نزولها على قولين:

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) النساء: ٥٨.

(٣) يُنظر: البرهان في علوم القرآن (النَّوْعُ التَّاسِعُ: مَعْرِفَةُ الْمَكِّيِّ وَالْمَدَنِيِّ) (١٨٧/١)، والإتقان في علوم القرآن (النوع الأول: في معرفة المكي والمدني) (٣٧/١)، ومناهل العرفان في علوم القرآن (المبحث السابع: في المكي والمدني من القرآن الكريم) (١٩٤/١، ١٩٥).

(٤) وقد جمع الحافظ السُّيوطي- رحمه الله- ذلك البعض في كتابه التحبير في علم التفسير(ص: ١٤٠- ١٥٢)، وعقد له النوع الرابع عشر تحت عنوان: (ما عُرف تاريخ نزوله: عامًا وشهرًا ويومًا
وساعةً).

أولهما: أنَّها مكيَّة، وهو قول الجمهور، ويُروى عن ابن عبَّاسٍ، وابْن الزُّبير، وعائشة – رضي الله عنهم – كما أفاده السُّيوطيُّ – عليه الرحمة- في الدر المنثور حيث قال: " أخرج ابْن مرْدَوَيْه عَن ابْن عَبَّاسٍ قَالَ: نزلت سُورَة **{ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَة الْقدر}**(١) بِمَكَّة، وَأخرج ابْن مرْدَوَيْه عَن ابْن الزُّبير وَعَائِشَة مثله".أهـ (٢).

ويُروى – أيضًا- عن قتادة(٣)، وجابر بن زيد(٤)، وعكرمة والحسن(٥)، وحكاه الماوردي عن أكثر المفسرين(٦)، وقال السُّيوطيُّ في الإتقان: "سورة القدر: فيها قولان، والأكثر أنَّها مكيَّة".أهـ(٧).

ثانيهما: أنَّها مدنيَّة، ذكره الثعلبي عن أكثر المفسرين(٨)، وهو أحد قولي ابن عباس(٩)، ومجاهد(١٠)، وعلي بن أبي طلحة(١١)، والضحاك(١)، ومقاتل(٢)،

---

(١) القدر: ١.
(٢) الدر المنثور (٥٦٧/٨).
(٣) يُنظر: الكشف والبيان للثعلبي (٣٤٧/١٠)، والمحرر الوجيز (٥٠٤/٥).
(٤) يُنظر: مصاعد النظر (٢١٦/٣)، والتحرير والتنوير (٤٥٥/٣٠).
(٥) يُنظر: مصاعد النظر (٢١٦/٣)، والإتقان في علوم القرآن (النوع الأول: في معرفة المكي والمدني) (٤٠/١).
(٦) يُنظر: النكت والعيون (٣١١/٦).
(٧) الإتقان في علوم القرآن (النوع الأول: في معرفة المكي والمدني) (٥٣/١).
(٨) يُنظر: الكشف والبيان (٣٤٧/١٠).
(٩) يُنظر: المحرر الوجيز (٥٠٤/٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٢٩/٢٠)، والتحرير والتنوير (٤٥٥/٣٠).
(١٠) يُنظر: مصاعد النظر (٢١٦/٣).
(١١) يُنظر: مصاعد النظر (٢١٦/٣)، والإتقان في علوم القرآن (النوع الأول: في معرفة المكي والمدني) (٤٣/١، ٤٤).

وذكر الواقديُّ أنَّها أول سورةٍ نزلت بالمدينة(٣)، وصحَّحه الإمام الخازن في لبابه ونسبه للأكثرين(٤)، ورجَّحه العلامة ابن عاشور – عليه الرحمة - بأنَّ المتبادر أنَّها تتضمن الترغيب في إحياء ليلة القدر، وإنَّما كان ذلك بعد فرض رمضان بعد الهجرة(٥).

قلتُ: غاية ما استدل به القائلون بمدنيَّة السُّورة الكريمة حديثٌ فيه أكثر من علةٍ تقضي بسقوطه إلى حضيض الوضع والافتراء أخرجه الترمذي، وابن جرير الطبري، والطبراني، والحاكم أنَّ رَجُلًا عَرَضَ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، بَعْدَ مَا بَايَعَ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: سَوَّدْتَ وُجُوهَ المُؤْمِنِينَ، أَوْ يَا مُسَوِّدَ وُجُوهِ المُؤْمِنِينَ فَقَالَ: لَا تُؤَنِّبْنِي رَحِمَكَ اللَّهُ، فَإِنَّ النَّبِيَّ - ﷺ- أُرِيَ بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى مِنْبَرِهِ فَسَاءَهُ ذَلِكَ، فَنَزَلَتْ: **{ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}(٦)** يَا مُحَمَّدُ، يَعْنِي نَهْرًا فِي الجَنَّةِ، وَنَزَلَتْ: **{ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}(٧)** يَمْلِكُهَا بَعْدَكَ بَنُو أُمَيَّةَ يَا مُحَمَّدُ. قَالَ القَاسِمُ، فَعَدَدْنَاهَا فَإِذَا هِيَ أَلْفُ شَهْرٍ لَا تَزِيدُ يَوْمًا وَلَا تَنْقُصُ». **وسيأتيك خبر هذا الحديث عند تحقيق القول فيما ورد في سبب نزول السُّورة الشريفة، فانتظره.**

وأمَّا ما ذكره العلامة ابن عاشور – عليه الرحمة – من أنَّها تتضمن الترغيب في إحياء ليلة القدر، وإنَّما كان ذلك بعد فرض رمضان بعد الهجرة، فلا يصلح

---

(١) يُنظر: زاد المسير (٤٦٩/٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٢٩/٢٠).

(٢) يُنظر: تفسيره (٧٦٩/٤)، وزاد المسير (٤٦٩/٤).

(٣) يُنظر: الكشف والبيان (٣٤٧/١٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٢٩/٢٠)، والتحرير والتنوير (٤٥٥/٣٠).

(٤) يُنظر: لباب التأويل (٤٥٠/٤).

(٥) يُنظر: التحرير والتنوير (٤٥٥/٣٠).

(٦) الكوثر: ١.

(٧) القدر: ١.

دليلًا يُعول عليه ويُعتدُّ به في القول بمدنيَّتها؛ إذ ما الذي يمنع أن تكون السُّورة مكيَّة مع تضمنها الترغيب في إحياء ليلة القدر، فإحياؤها يكون بالقيام وبالأعمال الصالحة من الذِّكر والدُّعاء والاستغفار وغيرها من أعمال الخير، وقد كان كلُّ ذلك مشروعًا بمكة كما لا يخفى.

فإن قيل: يُفهم من عبارة الطاهر بن عاشور أنَّ السُّورة تتضمن الترغيب في إحياء ليلة القدر بالقيام خاصةً، ولم يُشرع قيام الليل إلا بعد فرض رمضان بعد الهجرة؟ قلتُ: هذا وهمٌ ظاهرٌ؛ لأنَّ القيام كان مفروضًا على المسلمين بمكة مدة عامٍ كاملٍ ثم خُفِّف بالندب، وإن رمتَ دليلًا على ذلك، فإليك ما أخرجه الإمام مسلمٌ في صحيحه عن سَعْد بْن هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ:.... فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ - ﷺ-، قَالَتْ: « أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ » قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: « فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ - ﷺ- كَانَ الْقُرْآنَ ». قَالَ: فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ وَلَا أَسْأَلَ أَحَدًا عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَمُوتَ، ثُمَّ بَدَا لِي، فَقُلْتُ: أَنْبِئِينِي عَنْ قِيَامِ رَسُولِ اللهِ - ﷺ-، فَقَالَتْ: « أَلَسْتَ تَقْرَأُ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ؟ » قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: « فَإِنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ- افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَقَامَ نَبِيُّ اللهِ - ﷺ- وَأَصْحَابُهُ حَوْلًا، وَأَمْسَكَ اللهُ خَاتِمَتَهَا اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا فِي السَّمَاءِ، حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ التَّخْفِيفَ، فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعًا بَعْدَ فَرِيضَةٍ »....." الحديث(١).

ومن المعلوم أنَّ سورة المزمل من أوائل ما نزل من القرآن بمكة، وقد ثبت فرض قيام اللَّيل بأولها بقوله - تعالى -: { **قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه – كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا- بَابُ جَامِعِ صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَمَنْ نَامَ عَنْهُ أَوْ مَرِضَ (٥١٢/١، ٥١٣) رقم (١٣٩).

مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا }(١)، ونُسخ بآخرها، والناسخ قوله - تعالى -: { **عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ }(٢)**، أي: خفَّف الله عنكم فصلُّوا ندبًا لا وجوبًا ما تيسَّر لكم من صلاة اللَّيل.

ومن ثَمَّ يظهر لي – والله أعلى وأعلم- رجحان القول بمكيَّة سورة القدر؛ لأنَّ أسلوبها، وموضوعها، وأغراضها، وقصر آياتها أشبه بالسُّور المكيَّة.

المطلب السادس: ترتيبها:

سورة القدر هي السُّورة السَّابعة والتسعون في ترتيب المصحف الشريف، كُتبتْ فيه بعد سورة العلق وقبل سورة البيِّنة.

أمَّا ترتيب نزولها – عند مَنْ يقول به – فهي السُّورة الخامسة والعشرون، نزلت بعد سورة عبس وقبل سورة الشمس(٣)، هذا على القول بمكيَّتها، وهو الأرجح كما قد علمتَ. أمَّا على القول بمدنيَّتها، فيقتضي أن تكون نزلت بعد سورة المطففين وقبل سورة البقرة(٤).

قلتُ: والمعول عليه في ترتيب السُّور هو الترتيب المصحفي؛ حيث ذهب جمهور العلماء إلى أنَّه توقيفي فلم تُوضع سورةٌ في مكانها إلا بأمر من الرسول - ﷺ - عن جبريل - عليه السَّلام- عن ربِّ العزَّة -جلَّ وتقدس- كترتيب الآيات سواء بسواء، وإن كانوا قد اختلفوا هل كلُّ ذلك الترتيب بتوقيفٍ قوليّ صريحٍ من

---

(١) المزمل: ٢- ٤.

(٢) المزمل: ٢٠.

(٣) كذا عدَّها ابن عباس- رضي الله عنهما – كما أخرجه ابن الضريس عنه في فضائل القرآن (ص: ٣٣) حديث رقم (١٧)، وعدَّها جابر بن زيد. يُنظر: الإتقان في علوم القرآن (النَّوْعُ السَّابِعُ: مَعْرِفَةُ أَوَّلِ مَا نَزَلَ) (٩٦/١).

(٤) يُنظر: التحرير والتنوير (٤٥٥/٣٠).

النبي - ﷺ - ينصُّ على كلِّ سورةٍ أنَّها بعد سورة كذا، أو أنَّ بعض هذا الترتيب قد استند فيه الصَّحابة – رضي الله عنهم - إلى مستندٍ فعليّ من قراءة النبيّ - ﷺ - مثلًا(١). وعلى كلٍّ فهو أمرٌ توقيفيّ؛ لأنَّ السُّنة – كما هو معلوم - قولٌ أو فعلٌ أو تقريرٌ.

أمَّا الترتيب النزولي للسُّور، فلم يأتِ فيه شيءٌ صحيحٌ يُعوَّل عليه ويُستند إليه عن واحدٍ من الصَّحابة فضلًا عمَّا فوق الواحد، فضلًا عن أن يكون قد ثبت فيه شيءٌ عن رسول الله- ﷺ - حتَّى نقطع ونسلم القول به، بل قُصارى ما جاء رواياتٌ يأتيها الضعف من بين يديها ومن خلفها سندًا ومتنًا وعقلًا ونقلًا، وأنت خبيرٌ بأنَّ أمثال هذه الروايات لا يمكن الاعتماد عليها في أمر القرآن الكريم(٢).

المطلب السَّابع: تحقيق القول فيما ورد في سبب نزولها:

أورد كثيرٌ من المفسِّرين عدة رواياتٍ في سبب نزول سورتنا الكريمة، لا يصلح شيء منها أن يكون سببًا لنزولها، وسأعرضها للقارئ الكريم في هذا المطلب مع بيان درجتها والحكم عليها، فأقول وبالله التوفيق:

الرواية الأولى:

---

(١) يُنظر: علوم القرآن الكريم للشيخ نور الدين عتر ص: ٤٢.

(٢) ينظر: ما سطره قلم شيخنا العلامة الأستاذ الدكتور/إبراهيم خليفة- رحمه الله- في كتابيه: التفسير التحليلي لسورة النساء (ص: وما بعدها٤٧)، وبحثان حول سور القرآن: (ص:٥١ وما بعدها) بخصوص هذه المسألة، فقد أجاد وأفاد، وأتى بما لا مزيد عليه لمستزيد، وكرَّ على تلك الروايات التي اعتمد عليها السيوطي وغيره من القائلين بالترتيب النزولي بالنقد والنقض، وانتهى إلى أنَّ القول بهذا النوع من الترتيب أمرٌ مخالفٌ للواقع، ولا دلالة عليه لا من المعقول ولا من المنقول، فليُراجع ما كتبه شيخنا، فمَنْ فاته، فاته خيرٌ عظيمٌ.

أخرج الترمذي بسنده من طريق القَاسِم بْن الفَضْلِ الحُدَّانِيّ عَنْ يُوسُفَ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَامَ رَجُلٌ إِلَى الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، بَعْدَ مَا بَايَعَ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: سَوَّدْتَ وُجُوهَ المُؤْمِنِينَ، أَوْ يَا مُسَوِّدَ وُجُوهِ المُؤْمِنِينَ فَقَالَ: لَا تُؤَنِّبْنِي رَحِمَكَ اللَّهُ، فَإِنَّ النَّبِيَّ - ﷺ- أُرِيَ بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى مِنْبَرِهِ فَسَاءَهُ ذَلِكَ، فَنَزَلَتْ: { **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**}(١) يَا مُحَمَّدُ، يَعْنِي نَهْرًا فِي الجَنَّةِ، وَنَزَلَتْ: { **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**}(٢) يَمْلِكُهَا بَعْدَكَ بَنُو أُمَيَّةَ يَا مُحَمَّدُ. قَالَ القَاسِمُ، فَعَدَدْنَاهَا فَإِذَا هِيَ أَلْفُ شَهْرٍ لَا تَزِيدُ يَوْمًا وَلَا تَنْقُصُ»(٣).

قلتُ: هذا الحديث ضعيف الإسناد منكر المتن، وأمارات الوضع لائحةٌ عليه، أمَّا ضعف إسناده، فمن وجوهٍ:

أحدها: اضطرابهم في الذي يروي عنه القاسم بن الفضل، فقد رواه الترمذي

---

(١) الكوثر: ١.

(٢) القدر: ١.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه- كتاب التفسير- باب ومن سورة ليلة القدر (٤٤٤/٥)، رقم (٣٣٥٠)، وقال: "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل، وهو ثقة وثقه يحيى القطان وابن مهدي. قال: وشيخه يوسف بن سعد- ويقال: يوسف بن مازن- رجل مجهول، ولا نعرف هذا الحديث، على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه "، والطبراني في المعجم الكبير (٨٩/٣) رقم (٢٧٥٤)، والحاكم في المستدرك- كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم- باب ومن فضائل الحسن بن علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- وذكر مولده ومقتله (١٩٢/٣)، رقم (٤٨١١)، وصحَّح إسناده، وحذفه الذهبي من التلخيص لضعفه، وابن جرير الطبري في تفسيره (٥٣٣/٢٤، ٥٣٤)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٤٢٥/٨، ٤٢٦)، وعزاه للترمذي والحاكم وابن جرير، ثم قال: " هذا الحديث على كل تقدير منكر جدا، قال شيخنا الإمام الحافظ الحجة أبو الحجاج المزي: هو حديث منكر". أهـ، والسّيوطيُّ في لباب النقول (ص: ٢١٤)، وعزاه للترمذي والحاكم وابن جرير، وقال: " قال الترمذي: غريب، وقال المزّي وابن كثير: منكرٌ جدًّا". أهـ .

من طريق القَاسِمِ بْنِ الفَضْلِ الحُدَّانِيّ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ سَعْدٍ، ورواه الطبراني فِي مُعجمهِ الكبير مِنْ طَرِيقِ الْقَاسِمِ بْنِ الْفَضْلِ عَنْ يُوسُفَ بْنِ مَازِنَ، ورواه الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ مِنْ طَرِيقِ الْقَاسِمِ بْنِ الْفَضْلِ عَنْ يُوسُفَ بْنِ مَازِنَ، وَرَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ الطبري مِنْ طَرِيقِ الْقَاسِمِ بْنِ الْفَضْلِ عَنْ عيسى بْنِ مَازِنَ. قال الحافظ ابن كثير – طيَّب الله ثراه - في تفسيره: " وَهَذَا يَقْتَضِي اضْطِرَابًا فِي هَذَا الْحَدِيثِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ".أهـ(١).

ثانيها: جهالة حال الرواي الذي يروي عنه القاسم بن الفضل؛ قال أبو عيسى الترمذي بعد روايته هذا الحديث: "هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل، وهو ثقة وثَّقه يحيى القطَّان وابن مهدي. قال: **وشيخه يوسف بن سعد - ويقال: يوسف بن مازن - رجل مجهول**، ولا نعرف هذا الحديث، على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه ". أهـ(٢).

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤٢٥/٨).

(٢) جامع الترمذي- كتاب التفسير- باب ومن سورة ليلة القدر (٤٤٤/٥)، رقم (٣٣٥٠). وتعقَّبه الحافظ ابن كثير، فقال: " وقول الترمذي: إنَّ يوسف هذا مجهول فيه نظرٌ، فإنَّه قد روى عنه جماعة، منهم حماد بن سلمة، وخالد الحذاء، ويونس بن عبيد، وقال فيه يحيى بن معين: هو مشهور، وفي رواية عن ابن معين قال: هو ثقة".أهـ تفسير القرآن العظيم (٤٢٥/٨). يريد أنَّه قد ارتفعت جهالته، ولعلَّ الترمذي يريد أنَّه مجهول الحال، فتنبَّه. واعلم أنَّ الحافظ ابن كثير لم يكتف في وصف هذا الحديث بمجرد الغرابة – على ما فعل الترمذي – بل عقَّب عليه بما يكشف عن علة متنه من أكثر من وجهٍ، وإن كان الترمذي حين يذكر وصف الغرابة مجردًا عن وصف الصحة والحسن قبله- كما هنا- لا يُنافي ذلك عنده أن يكون الحديث قد بلغ مع هذه الغرابة أقصى حدود الضعف إلى درجة الوضع، كما يعرف ذلك كل من أنعم النظر في مطالعة جامعه. ونكتة ذلك أنَّ أغلب ما تكون رواية الموضوع أن يُروى من وجهٍ واحدٍ على ما هو حد الغرابة عند الترمذي، كما يعرفه المعنيّون بشئون الموضوعات. أفدته من تعليق شيخنا الأستاذ الدكتور/إبراهيم خليفة – عليه الرحمة – على حكم الترمذي على الحديث. يُنظر: الدخيل في

ثالثها: على فرض توثيق يوسف بن سعد، فإنَّ في شهوده قصة مبايعة الحسن لمعاوية نظرًا؛ إذ ليس في روايته ما يقتضي أنَّه سمع من الحسن - رضي الله عنه- بل يجوز أن يكون أراد ذكر قصة تُروى عن الحسن، فيكون قد أرسلها عمَّن لا يُوثق به(١). **هذا من جهة الإسناد.**

أمَّا من جهة المتن فقد تضمن أكثر من علةٍ تقضي بنكارته وغرابته وسقوطه إلى حضيض الوضع والافتراء، وبيان ذلك من وجوهٍ:

أحدها: مخالفته للتاريخ الصحيح الثابت، وذلك من وجهين:

أولهما: أنَّ المدة التي بين تسليم الحسن الخلافة إلى معاوية وبين بيعة السفاح وهو أول خلفاء بني العباس ألف شهر واثنان وتسعون شهرًا أو أكثر بشهرٍ أو بشهرين، فقول القاسم بن الفضل: « فَعَدَدْنَاهَا فَإِذَا هِيَ أَلْفُ شَهْرٍ لَا تَزِيدُ يَوْمًا وَلَا تَنْقُصُ» قولٌ مخالفٌ للواقع بل إن شئتَ فقل: كذب صُراح لا محالة. وفي بيان ذلك يقول الحافظ ابن كثير – رحمه الله -: " وقول القَاسِم بْن الفَضْلِ الحُدَّانِيّ إنَّه حسب مدة بني أمية فوجدها ألف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص، ليس بصحيح؛ فإنَّ معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه- استقل بالملك حين سلم إليه الحسن بن علي الإمرة سنة أربعين، واجتمعت البيعة لمعاوية، وسُمِّي ذلك عام الجماعة، ثم استمروا فيها متتابعين بالشام وغيرها، لم تخرج عنهم إلا مدة دولة عبد الله بن الزبير في الحرمين والأهواز وبعض البلاد قريبًا من تسع سنين، لكن لم تزل

التفسير (٥٣٩/١).

(١) أفدتُ في هذا ممَّا سطره قلم الطاهر بن عاشور – عليه الرحمة – في التحرير والتنوير (٤٦٠/٣٠، ٤٦١).

يدهم عن الإمرة بالكلية، بل عن بعض البلاد، إلى أن استلبهم بنو العباس الخلافة في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، فيكون مجموع مدتهم اثنتين وتسعين سنة، وذلك أزيد من ألف شهر، فإنَّ الألف شهر عبارة عن ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر، وكأنَّ القاسم بن الفضل أسقط من مدتهم أيام ابن الزبير، وعلى هذا فتقارب ما قاله الصحة في الحساب، والله أعلم". أهـ(١).

ثانيهما: التصريح بنزول سورة القدر بالمدينة حيث نطق الحديث برؤياه – ﷺ– لبني أُميَّة على منبره، والمنبر إنَّما صُنع بالمدينة بعد مدةٍ من الهجرة، على حين أنَّ الصحيح الثابت كون السُّورة مكيَّة حيث لم يكن منبر ولا غيره(٢).

ثانيها: ركاكة معناه ومجانبته للبلاغة والفصاحة حيث يقضي بتفضيل ليلة القدر على أيام بني أُميَّة التي هي مذمومةٌ بمقتضاه ممَّا يترتب عليه حينئذٍ ركاكة معنى القرآن ذاته، ومجانبته للبلاغة والفصاحة اللذين يعلم كل عاقلٍ أنَّ القرآن في قمتهما(٣).

يقول ابن كثير – عليه الرحمة –: " وممَّا يدلُّ على ضعف هذا الحديث أنَّه سيق لذمِّ دولة بني أمية، ولو أُريد ذلك لم يكن بهذا السِّياق، فإنَّ تفضيل ليلة القدر على أيامهم لا يدلُّ على ذم أيامهم، فإنَّ ليلة القدر شريفةٌ جدًّا والسُّورة الكريمة إنَّما جاءت لمدح ليلة القدر، فكيف تُمدح بتفضيلها على أيام بني أمية التي هي مذمومةٌ بمقتضى هذا الحديث، وهل هذا إلا كما قال القائل:

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٨/٤٢٥، ٤٢٦).

(٢) يُنظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/٤٢٦)، والدخيل في التفسير للعلامة/إبراهيم خليفة (١/٥٤١، ٥٤٢).

(٣) يُنظر: الدخيل في التفسير للعلامة/إبراهيم خليفة (١/٥٤٢).

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَنْقُصُ قَدْرُهُ ** إِذَا قِيلَ إِنَّ السَّيْفَ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا(١)

وَقَالَ آخَرُ:

إِذَا أَنْتَ فَضَّلْتَ امْرَأً ذَا بَرَاعَةٍ **عَلَى نَاقِصٍ كَانَ الْمَدِيحُ مِنَ النَّقْصِ(٢)".أهـ(٣).

ثالثها: النزعات السياسية المتعصبة المتمثلة في كون هذا الحديث سيق لذمِّ دولة بني أمية، قال العلامة ابن عاشور– عليه الرحمة –: " واتفق حذَّاق العلماء على أنَّه حديثٌ منكرٌ صرَّح بذلك ابن كثير وذكره عن شيخه المزِّيِّ، وأقول: هو مختل المعنى وسمات الوضع لائحةٌ عليه، وهو من وضع أهل النحل المخالفة للجماعة فالاحتجاج به لا يليق أن يصدر مثله عن الحسن مع فرط علمه وفطنته، وأية ملازمة بين ما زعموه من رؤيا رسول الله - ﷺ- وبين دفع الحسن التأنيب عن نفسه، ولا شك أنَّ هذا الخبر من وضع دعاة العباسيين..... والحاصل أنَّ هذا الخبر الذي أخرجه الترمذي منكرٌ كما قاله المزِّيُّ". **أهـ(٤).**

قلتُ: فهذا كله ممَّا يدل على سقوط هذه الرواية عن درجة الاعتبار، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الرواية الثانية:

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والواحدي عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ - ﷺ -

---

(١) البيت لم أقف عليه فيما بين يدي من كتب اللغة والمعاجم، ومعناه: أنَّك لو مدحتَ السيف بتفضيله على العصا، كان ذلك نقصانًا من قدره، ولم يكن مدحًا.

(٢) البيت في مغني اللبيب لابن هشام (٢٠٤/٢) من غير نسبة، ومعناه: أنَّ التفضيل على الناقص لا فضل فيه.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٢٦/٨).

(٤) التحرير والتنوير (٤٦١/٣٠).

رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَبِسَ السِّلَاحَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَلْفَ شَهْرٍ، فَتَعَجَّبَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ – تَعَالَى-: { **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**}(١). قَالَ: خَيْرٌ مِنَ الَّتِي لَبِسَ فِيهَا السِّلَاحَ ذَلِكَ الرجل(٢).

قلت: **هذه الرواية مرسلةٌ ضعيفةٌ**، أمَّا إرسالها؛ فلأنَّ مجاهد بن جبر تابعي وقد رفع الرواية إلى رَسُولَ اللهِ - ﷺ- دون ذكر الصَّحابيّ، والإرسال نوعٌ من أنواع الانقطاع في السَّند(٣)، وأمَّا ضعفها؛ فلأنَّ في إسناد ابن جرير الطبري: **المثنى بن الصبَّاح**، وهو ضعيفٌ اختلط بأخرة (٤).

---

(١) القدر: ١- ٣.

(٢) يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٥٣٣/٢٤، ٥٣٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣٤٥٢/١٠) رقم (١٩٤٢٤)، وأسباب النزول الواحدي (ص: ٤٨٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٢٦/٨) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) المشهور أنَّ الحديث المرسل: هو ما رفعه التابعي، بأن يقول: " قال رسول الله- ﷺ-"، سواء كان التابعي كبيرًا أو صغيرًا، ومذهب جمهور المحدثين وكثير من الفقهاء والأصوليين أنَّ المرسل ضعيفٌ لا يُحتجُّ به. ودليلهم على ذلك: أنَّ المحذوف مجهول الحال؛ لأنَّه يحتمل أن يكون غير صحابي، وإذا كان كذلك فإنَّ الرواة حدَّثوا عن الثقات وغير الثقات، فإذا روى أحدهم حديثًا وأرسله لعله أخذه عن غير ثقة. وإن اتفق أن يكون المُرسِل لا يروي إلا عن ثقة، فالتوثيق مع الإبهام غير كافٍ. يُنظر: منهج النقد في علوم الحديث للشيخ نور الدين عتر ص:٣٧٠، ٣٧١.

(٤) وهو اليماني الأبناوي أبو عبد الله، ويُقال أبو يحيى نزيل مكة أصله من أبناء فارس،" قال عبد الله بن أحمد عن أبيه لا يُساوي حديثه شيئًا مضطرب الحديث. قال إسحاق بن منصور عن ابن معين: ضعيف، وكذا قال معاوية بن صالح عن ابن معين. وقال بن أبي حاتم سألت أبي و أبا زرعة عنه فقالا: لين الحديث، قال أبي: يروي عن عطاء ما لم يرو عنه أحد، وهو ضعيف الحديث. وقال الجوزجاني: لا يقنع بحديثه، وقال الترمذي: يضعف في الحديث. وقال النسائي: ليس بثقة، وقال في موضع آخر: متروك الحديث. وقال علي بن الجنيد: متروك الحديث. وقال

وفي إسناد ابن أبي حاتم والواحدي: **مسلم بن خالد المخزومي** مولاهم المكي: صدوق كثير الغلط في حديثه(١).

الرواية الثالثة:

أخرج ابن أبي حاتم عَنْ عَلِيِّ بْنِ عُرْوَةَ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- يومًا أَرْبَعَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَبَدُوا اللَّهَ ثَمَانِينَ عَامًا، لَمْ يَعْصَوْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ فَذَكَرَ أَيُّوبَ وزكريا وحزقيل ابن الْعَجُوزِ وَيُوشَعَ بْنَ نُونٍ، قَالَ: فَعَجِبَ أَصْحَابُ رسول الله - ﷺ- من ذَلِكَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ عَجِبَتْ أُمَّتُكَ مِنْ عِبَادَةِ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ ثَمَانِينَ سَنَةً لَمْ يَعْصُوْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَقَدَ أَنْزَلَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ فَقَرَأَ عَلَيْهِ: { **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَما أَدْراكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**}(٢)هَذَا أَفْضَلُ مِمَّا عَجِبْتَ أَنْتَ وَأُمَّتُكَ، قَالَ: فَسُرَّ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- وَالنَّاسَ مَعَهُ(٣).

قلت: **هذه الرواية – أيضًا - مرسلةٌ ضعيفةٌ**، أمَّا إرسالها؛ فلأنَّ عَلِيّ بْن

الدارقطني: ضعيف. وقال بن عمار: ضعيف. وقال الساجي: ضعيف الحديث جدًّا حدث بمناكير ويطول ذكرها وكان عابدا يهم. وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي عندهم، وضعَّفه – أيضًا- سحنون الفقيه وغيره، وذكره العقيلي في الضعفاء". يُنظر: تقريب التهذيب (ص: ٥١٩)، وتهذيب التهذيب (٣٦/١٠).

(١) وهو ابن فروة، ويُقال بن المخزومي مولاهم أبو خالد الزنجي المكي الفقيه، قال ابن المديني: ليس بشيء. وقال البخاري: منكر الحديث يكتب حديثه ولا يحتج به يعرف وينكر. وقال ابن سعد: وتوفي في خلافة هارون سنة ثمانين ومائة بمكة، وكان كثير الغلط في حديثه. وقال الساجي: صدوق كان كثير الغلط، وكان يرى القدر". يُنظر: تقريب التهذيب (ص: ٥٢٩)، وتهذيب التهذيب (١٢٨/١٠، ١٢٩).

(٢) القدر: ١- ٣.

(٣) يُنظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣٤٥٢/١٠) رقم (١٩٤٢٤)، ولابن كثير (٤٢٦/٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

عُرْوَةَ قد رفعها إلى رَسُولَ اللهِ - ﷺ- دون ذكر الصَّحابيّ، وقد علمتَ أنَّ الإرسال نوعٌ من أنواع الانقطاع في السَّند، وأمَّا ضعفها؛ فلأنَّ فيها متروكين:

أولهما: مسلمة بن علي بن خلف الخشني ضعيفٌ وحديثه متروك(١).

ثانيهما: **علي بن عروة الدمشقي القرشي** متروك الحديث متهم بالوضع (٢).

ومن خلال هذا التحقيق يتبيَّن لك – أيها القارئ الكريم - أنَّ ما ورد في هذه الأحاديث والروايات التي أوردها بعض المفسِّرين لا يصلح أن يكون سببًا لنزول سورة القدر؛ لاضطراب الرواية الأولى وغرابتها ونكارتها، ولإرسال وضعف الثانية والثالثة، والله – تعالى – أعلم.

المطلب الثامن: مناسبتها لما قبلها:

اعلم – علَّمك الله وإيايَّ- أنَّ الناظر في سور القرآن الكريم وآياته يدهش نظره، ويشخص بصره، ولو أرجع بصره الكرَّة تلو الكرَّة لعاد إليه ذليلًا حاسرًا

---

(١) وهو أبو سعيد الدمشقي البلاطي كان يسكن البلاط قرية من قرى دمشق، قال عنه البخاري وأبو زرعة: منكر الحديث. وقال ابن حبان: ضعيف الحديث منكر الحديث، لا يُشتغل به هو في حد الترك. وقال الجوزقاني: ضعيفٌ وحديثه متروك. وقال يعقوب بن سفيان: لا ينبغي لأهل العلم أن يشغلوا أنفسهم بحديثه. وقال النسائي والدارقطني والبرقاني: متروك الحديث. وقال النسائي: أيضًا ليس بثقة. وقال الحاكم أبو أحمد: ذاهب الحديث. وقال ابن حبان: كان يقلب الأسانيد ويروي عن الثقات ما ليس عندهم ولا من حديثهم فلما فحش ذلك بطل الاحتجاج به. وقال الحافظ أبو علي النيسابوري: ضعيف. يُنظر: تقريب التهذيب (ص: ٥٣١)، وتهذيب التهذيب (١٤٦/١٠).

(٢) قال عثمان الدارمي عن ابن معين: ليس بشيء. قال البخاري: مجهول. وقال أبو حاتم: متروك الحديث. وقال صالح بن محمد: عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي كان يضع الحديث وعلي بن عروة أكذب منه. وقال مرة: حديثه كله كذب. وقال ابن حبان: يضع الحديث. وقال الأزدي: لا يكتب حديثه. وقال بن عدي: وهو كما قال ابن معين ليس حديثه بشيء، وهو ضعيف عن كل من روى عنه. يُنظر: تقريب التهذيب (ص: ٤٠٣)، وتهذيب التهذيب (٣٦٥/٧).

منكسرًا من جمال نظمه، وحسن تناسبه، وتمام تناسقه؛ إذ كلُّ كلمةٍ مع أختها، وكلُّ جملةٍ مع جارتها، وكلُّ آيةٍ مع صاحبتها، وكلُّ سورةٍ مع مثيلاتها، وكلُّ موضوعٍ مع السَّابق عليه واللَّاحق به، كلٌّ آخذ بأعناق بعضٍ في تآلفٍ عجيب، وتناسقٍ بديع بما يبدو به القرآن الكريم بكلماته، وجمله، وآياته، وسوره غايةً في الانتظام، وآيةً في الالتحام، يتصل أوله بآخره، وآخره بأوله اتصالًا بديعًا، وترتبط آياته وسوره فيما بينها ارتباطًا وثيقًا، وكأنَّه سورةٌ واحدةٌ يُصدِّق بعضها بعضًا، ويبيّن بعضها معنى بعض.

إذا عرفتَ هذا؛ فاعلم أنَّ كيفية الوقوف على المناسبة بين أيِّ سورتين من سور القرآن الكريم لا يخرج قيد أُنملة عن سبيلين:

أحدهما: ما يُسمَّى المسلك العام، وإن شئت فقل المسلك الكلي، وأعني به: أن تُعقد المناسبة بين موضوع السُّورة السَّابقة، وموضوع السُّورة التي أنت بصدد تفسيرها، أو قل بين الروح العامة السَّارية في كيان السَّورة السابقة كله، وبين الروح العامة السَّارية في كيان السُّورة التي ستفسرها.

ثانيهما: ما يُسمَّى المسلك الخاص، وإن شئت فقل المسلك الجزئي، وأعني به أن تطلب المناسبة بين آيةٍ في سورتك التي أنت بصدد تفسيرها وأخرى في السُّورة السَّابقة عليها، وغالبًا ما يكون ذلك بين خاتمة السَّابقة وفاتحة اللاحقة، وإن لم يمنع ذلك من تطلب المناسبة بين غير الفاتحة والخاتمة كفاتحتي السُّورتين أو خاتمتهما، أو آية في وسط هذه، وأخرى في وسط تلك(١).

وتطبيقًا لهذين المسلكين في سورتنا وسورة العلق، تتجلى أوجه المناسبة بينهما فيما يلي:

---

(١) يراجع: التفسير التحليلي لسورة النساء (ص٨٩، ٩٠).

أولًا المناسبة الكلية بين السُّورتين:

وتظهر جليَّةً بإمعان النظر وإنعام الفكر في سرِّ تسمية كلتا السُّورتين؛ فإنَّ التسمية هي التي تمدُّك بمعرفة الموضوع الأبرز الذي تدور حوله آيات السُّورتين، فإذا تعرَّفت على الموضوع الأبرز لكلٍّ من السُّورتين سهل عليك جدًّا أن تقف على الارتباط الوثيق بين الموضوعين، وقد عرفت أنَّ موضوع سورة القدر – حسبما أوقفتُك عليه في المطلب الثالث - هو الحديث عن فضائل ليلة القدر التي شرَّفها الله، وباركها، ورفع قدرها، وفضَّلها على سائر الليالي والأيام بجعل العبادة فيها خيرًا من عبادة ألف شهر.

أمَّا موضوع سورة العلق، فقد وفت ببيانه وتجليته عبارة الإمام برهان الدين البقاعي – طيَّب الله ثراه-، وذلك حيث يقول: " ومقصودها: الأمر بعبادة مَنْ له الخلق والأمر، شكرًا لإحسانه، واجتنابًا لكفرانه، طمعًا في جنانه، وخوفًا من نيرانه، لما ثبت من أنَّه يدين العباد يوم المعاد. وكلٌّ من اسميها دالٌ على ذلك؛ لأنَّ المربِّي يجب شكره، ويحرم كفره. على أنَّ { اقرأ } يشير إلى الأمر، والعلق يشير إلى الخلق، و{ اقرأ } يدلُّ على البداية، وهي العبادة بالمطابقة(١)، وعلى النَّهاية، وهي النَّجاة يوم الدِّين باللازم. والعلق يدل على كلٍّ من النَّهاية والبداية بالالتزام(٢)؛ لأنَّ مَنْ عرف أنَّه مخلوقٌ من دم؛ عرف أنَّ خالقه قادرٌ على إعادته

---

(١) يريد: بدلالة المطابقة وتُسمَّى المطابقية أو التوافقية، وهي: دلالة اللفظ على تمام ما وُضع له، كدلالة الإنسان على الحيوان الناطق وسُمِّيت مطابقة؛ لمطابقة الفهم للوضع اللغوي، لأنَّ الواضع وضع اللفظ ليدل على المعنى بتمامه، وقد فهمناه منه بتمامه. يُنظر: إيضاح المبهم من معاني السُّلَّم للشيخ/أحمد الدمنهوري ص: ٦٣.

(٢) يريد: بدلالة الالتزام، وهي: دلالة اللفظ على أمرٍ خارجٍ عن معناه لازمٍ له، كدلالة الجسم على شغله حيزًا من الفراغ؛ لأنَّ هذا لازم للجسم، وإن كان خارجًا عن معنى الجسم، وسُمِّيت

من تراب، فإنَّ التراب أقبل للحياة من الدم، ومَنْ صدَّق بالإعادة عمل لها. وخصَّ العلق؛ لأنَّه مركب الحياة، ولذلك سُمِّى نفسًا، فكأنَّه إشارة إلى تحريم أكل الدم؛ لأنَّ مَنْ أكله تطبع بطابع صاحبه، وصارت نفسه كنفسه".أهـ(١).

ويُفهم من كلام هذا الإمام - عليه الرحمة - أنَّ مقصود سورة العلق هو الأمر بعبادة الله شكرًا له على نعمة الإيجاد، وخوفًا من مجازاته يوم المعاد، وأعظم العبادات وأجل القربات: العبادة في الأوقات الفاضلة، والمواسم المباركة، وفي مقدمتها: ليلة القدر التي جعل الله العبادة فيها خيرًا من عبادة ألف شهر، فيكون ذكر سورة القدر بعد سورة العلق من باب ذكر الخاص بعد العام، والله – تعالى – أعلى وأعلم.

ثانيًا المناسبات الجزئيَّة بين السُّورتين:

وتتجلى لك فيما يلي:

(أ) مناسبة فاتحتي السُّورتين:

لمَّا افتتحت سورة العلق بأمر الرسول - ﷺ- بقراءة القرآن باسم ربه الذي خلق، خلق الإنسان من علق، والذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، ذكر في مفتتح سورة القدر القرآن(٢) ونزوله وبيان فضله، وأنَّه من عند الله ذي العظمة والجلال، وكأنَّه يقول له: اقرأ القرآن الذي بدأنا إنزاله عليك في ليلة القدر؛ لأنَّ قدره عظيم وشأنه فخيم. فمفتتح سورة القدر إذن بمثابة التعريف بالقرآن، والتعليل

التزاميَّة؛ لأنَّ معنى اللفظ استلزم الأمر الخارج عنه. المصدر السابق بتصرفٍ.

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السُّور (٢١٣/٣).

(٢) لأنَّ الضمير المنصوب في قوله – تعالى-: **{**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**}** [القدر: ١] عائدٌ على القرآن، كما ستقف عليه قريبًا.

للأمر بقراءته المتقدِّم في أول سورة العلق.

وفي بيان ذلك وتجليته يقول العلامة ابن الزبير الغرناطي – عليه الرحمة -: " وردت [يعني: سورة القدر] تعريفًا بإنزال ما تقدَّم الأمر بقراءته لمَّا قُدِّمت الإشارة إلى عظيم أمر الكتاب، وأنَّ السلوك إليه – سبحانه- إنَّما هو من ذلك الباب، أعلم – سبحانه- بليلة إنزاله وعرفنا بقدرها لنعتمدها في مظانِّ دعائنا، وتعلق رجائنا، ونبحث على الاجتهاد في العمل لعلنا نوافقها، وهي كالسَّاعة في يوم الجمعة في إبهام أمرها مع جليل قدرها، ومن قبيل الصَّلاة الوسطى، ولله – سبحانه- في إخفاء ذلك رحمة، وكأنَّ في التعريف بعظيم قدر هذه الليلة التعريف بجلالة المُنزّل فيها، فصارت سورة القدر من تمام ما تقدَّم ووضح اتصالها". أهـ(١).

وهناك مناسبةٌ أُخرى لطيفةٌ بين فاتحتي السُّورتين، هي: أنَّ سورة العلق أول ما نزل من القرآن، فجاءت سورة القدر لتبيّن أنَّ هذا القرآن الذي ابتدئ بسورة العلق، أنزله الله في ليلة القدر.

قال العلامة ابن عاشور – طيَّب الله ثراه-: " ومن تسديد ترتيب المصحف أن وُضعت سورة القدر عقب سورة العلق مع أنَّها أقل عدد آيات من سورة البينة وسور بعدها، كأنَّه إماءٌ إلى أنَّ الضمير في **{أنزلناه}** يعود إلى القرآن الذي ابتدئ نزوله بسورة العلق". أهـ(٢).

(ب) مناسبة فاتحة سورة القدر لخاتمة ما قبلها:

---

(١) البرهان في تناسب سور القرآن (ص:٣٧٢). ويُراجع معه: البحر المحيط (٥١٣/١٠)، وأسرار ترتيب القرآن للسيوطي (ص:٦٣)، وروح المعاني (٤١١/١٥)، وتفسير المراغي (٢٠٦/٣٠).

(٢) التحرير والتنوير (٤٥٦/٣٠).

لمَّا ختم– سبحانه- سورة العلق بأمر رسوله الكريم – ﷺ– بالسجود - الذي هو أعظم أركان الصَّلاة - والاقتراب منه، ذكر في أول سورة القدر أنَّه أنزل القرآن في ليلة القدر، وكأنَّه يقول له: واقترب بقراءة القرآن في الصَّلاة.

وقد أفصحت عن هذه المناسبة اللَّطيفة عبارة الإمام البقاعي، وذلك حيث يقول– رحمه الله –: "لمَّا ذكر الله - سبحانه وتعالى- كتابه في هذا الذِّكر العربيِّ المعجز، ذكر إنزاله مستحضرًا في كلِّ قلب، كان ذلك مغنيًا عن إعادته بصريح اسمه، فكان متى أضمره علمه المخاطب بما في السِّياق من القرائن الدَّالة عليه، وبما له في القلب من العظمة وفي الذهن من الحضور لا سيما في هذه السُّورة لافتتاح العلق بالأمر بقراءته، وختمها بالصَّلاة التي هي أعظم أركانها، فكانت دلالتها عليه دلالة هي في غاية الوضوح، فكان كأنَّه قال: واقترب بقراءة القرآن في الصَّلاة، فكان إضماره أدلَّ على العظمة الباهرة من إظهاره؛ لدلالة الإضمار على أنَّه ما تمَّ شيءٌ ينزل غيره فهو بحيث لا يحتاج إلى التصريح به". أهـ(١).

(ج) مناسبة خاتمتي السُّورتين:

لمَّا خُتمت سورة العلق بالأمر بالسجود والاقتراب من الله بجليل الطاعات وعظيم العبادات، وفي مقدمتها: الصَّلاة وتلاوة القرآن لا سيما في الأوقات الفاضلة، والمواسم المباركة كليلة القدر، خُتمت سورة القدر ببيان جزاء مَنْ يفعل ذلك ويداوم عليه، فجزاؤه أن ينعم بالسَّلامة والنجاة في دنياه وأُخراه، وتتنزل عليه الملائكة الكرام عند موته تبشِّره بحسن الثواب، والنجاة من العقاب، فتكون ساعةُ موته أسعدَ الأوقات، وأجملَ اللَّحظات، وكأنَّها في حقه ليلة القدر التي تتنزل الملائكة فيها بالخير والسَّلام على الكون كلِّه، كما قال – سبحانه -: {**الَّذِينَ**

---

(١) نظم الدرر (١٧٦/٢٢، ١٧٧).

تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (١)، وقال – تعالى -: **{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ}** (٢)، هذا ما يظهر لي من التناسب بين خاتمتي السُّورتين، والله – تعالى – أعلم بأسرار كتابه.

وبعد هذا التمهيد الذي قدَّمتُ به بين يدي تفسير السُّورة الشريفة، أشرع الآن - بعون الله وتوفيقه- في تفسير آياتها بشيءٍ من التفصيل والتحليل، وعلى الله قصد السَّبيل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

---

(١) النحل: ٣٢.

(٢) فصلت: ٣٠ – ٣٢.

المقصد

ويتضمن التفسير التحليلي للسُّورة الكريمة

أولًا: القراءات الواردة في السُّورة الكريمة(١):

١ - قرأ الجمهور: قوله تعالى { **مِّن كُلِّ أَمْرٍ**}(٢) { أَمْرٍ} واحدُ الأمور. وقرأ ابن عباس وعكرمة والكلبي: [مِّن كُلِّ امْرِئٍ](٣) مُذكَّرُ امرأة، أي: مِنْ أجلِ كلِّ إنسانٍ وما قُدِّر له. وقيل: مِنْ أجل كلِّ مَلَكٍ، وهو بعيدٌ(٤). وهي قراءةٌ شاذةٌ مخالفةٌ لرسم المصحف، لا يجوز القراءة بها لا في الصلاة ولا في غيرها.

---

(١) اقتصرتُ هنا على بيان القراءات التي يترتب عليها اختلافٌ في المعاني، وهو ما يُعرف عند أهل الشأن باختلاف القراء في فرش الحروف، أمَّا اختلاف القراءات في وجوه النطق بالحروف والحركات كتحقيق الهمزة وتسهيلها، والفتح والإمالة، والجهر والهمس، والغنة، والإدغام، والإظهار، والتفخيم والترقيق، والوقف، وإثبات الياءات وحذفها، ومقادير المد، ونحو ذلك، وهو ما يُعرف عند أهل الشأن باختلاف القراء في الأصول، فأضربتُ عنه صفحًا هنا؛ إذ لا يترتب عليه اختلافٌ في المعاني، ومن ثَمَّ فلا علاقة له بالتفسير بل هو ألصقُ بعلم التجويد والأداء منه بالتفسير، فتنبَّه.

(٢) القدر: ٤.

(٣) عزاها لابن عباس وعكرمة والكلبي: ابن جني في المحتسب (٣٦٨/٢)، والسمين الحلبي في الدر المصون(٦٦/١١)، وعزاها ابن خالويه في مختصر في شواذ القرآن (ص: ١٧٧)، وكذا الزجاج في معاني القرآن وإعرابه(٣٤٧/٥) لابن عباس، وأخرجها ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٣٤/٢٤) من طريق الكلبيّ، عن أبي صالح، عن ابن عباس. وهي أوهى الطرق عن ابن عباس، قال أبو نعيم الأصفهاني: " مُحَمَّد بن السَّائِب الْكَلْبِيّ عَن أبي صَالح أَحَادِيثه مَوْضُوعَة". أهـ الضعفاء (ص: ١٣٨)، وقال السُّيوطيُّ: " وَمن رِوَايَات الضُّعَفَاء عَن ابْن عَبَّاس- رَضِي الله عَنْهُمَا- التَّفْسِير الْمَنْسُوب لأبي النَّصْر مُحَمَّد بن السَّائِب الْكَلْبِيّ، فَإِنَّهُ يرويهِ عَن أبي صَالح- وَهُوَ مولى أم هَانِئ- عَن ابْن عَبَّاس، والكلبي اتَّهَمُوهُ بِالْكَذِبِ، وَقد مرض فَقَالَ لأَصْحَابه فِي مَرضه: كل شَيْء حدثتكم عَن أبي صَالح كذب". أهـ الدر المنثور (٧٠٠/٨).

(٤) يُنظر: الدر المصون(٦٦/١١).

قال الإمام الطبري – عليه الرحمة-: " وهذه القراءة مَن قرأ بها وجَّه معنى [من كلِّ امرئ]: من كلّ ملَك؛ كان معناه عنده: تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كلِّ ملكٍ يُسلم على المؤمنين والمؤمنات، ولا أرى القراءة بها جائزة؛ لإجماع الحجة من القرّاء على خلافها، وأنَّها خلافٌ لما في مصاحف المسلمين، وذلك أنَّه ليس في مصحفٍ من مصاحف المسلمين في قوله: { أَمْرٍ} ياء، وإذا قُرِئت: [مِنْ كُلّ امْرِئ] لحقتها همزة، تصير في الخطِّ ياء". أهـ(١).

٢ – قرأ الجمهور: قوله تعالى { **سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**}(٢)، وقرأ أُبيُّ بن كعب- رَضِي الله عَنْه- [إلى] بدل { حتى } [سَلَامٌ هِيَ **إِلَى** مَطْلَعِ الْفَجْرِ]. وهي قراءةٌ شاذةٌ – أيضًا- مخالفةٌ لرسم المصحف.

قال أبو جعفر النَّحاس – طيَّب الله ثراه – بعد أن نسبها لأُبيّ: " وهذه القراءة على التفسير، ولا يجوز لأحدٍ أن يقرأ بها لمخالفتها السَّواد الأعظم". أهـ(٣).

٣ - قرأ الجمهور: { **مَطْلَعِ** } من قوله تعالى: { **سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**}(٤) بفتح اللام، وقرأ الكسائي وخلف: { **مَطْلِعِ** } بكسر اللام(٥).

وقراءة الجمهور بالفتح على أنَّه مصدر ميمي بمعنى الطلوع، تَقُول: طَلَعَ الفَجْرُ طُلُوعًا وَمَطْلَعًا، والمراد: طلوع الفجر، أي ظهوره وبزوغه، وقراءة الكسائي وخلف بالكسر على أنَّه اسم زمانٍ أو مكانٍ للطلوع، والمراد: زمان

---

(١) جامع البيان (٥٣٤/٢٤).

(٢) القدر: ٥.

(٣) إعراب القرآن للنحاس (١٦٧/٥).

(٤) القدر: ٥.

(٥) يُنظر: التيسير لأبي عمرو الداني (ص: ٢٣٣)، والنشر (٤٠٣/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٥٩٢)، والبدور الزاهرة (ص: ٣٤٦).

طلوع الفجر أو موضع طلوعه، والعرب تضع الاسم مَوْضع المصدر(١).

ثانيًا: المباحث العربية

(أ) معاني المفردات:

{ **أَنْزَلْنَاهُ**}: النزول في استعمال اللغة يطلق على معنيين:

أولهما: انحدار الشيء وهبوطه من علْوٍ إلى سُفْلٍ نحو: نزل فلان من الجبل، والمتعدي منه يكون معناه تحريك الشيء من علو إلى سفل ومنه قوله سبحانه: { **أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً** }(٢).

ثانيهما: الحلول في مكان والأوي به، ومنه قولهم: نزل الأمير المدينة،

---

(١) يُنظر: معاني القراءات للأزهري (١٥٥/٣). وهذا في لغة أهل الحجاز. وقيل: الفتح والكسر للمصدر في لغة بني تميم، قال أبو جعفر النَّحاس $: " والفتح هو القِياسُ والكسرُ سماعٌ، وله أخوات يُحْفَظُ فيها الكسرُ ممَّا ضُمَّ مضارعُه أو فُتح نحو: المَشْرِق والمَجْزِر. وأحسن ما قيل في هذا قول سيبويه قال: وقد كسروا المصدر قالوا: أتيتك عند مطلع الشمس أي عند طلوع الشمس. هذه لغة بني تميم، وأما أهل الحجاز فيقولون: مطلع والمطلع المكان. شرح هذا أنَّه ما كان على فعل يفعل، فالباب فيه أن يكون المصدر منه واسم المكان مفعلًا بالفتح، وكان يجب أن يكون اسم المكان منه بالضم إلا أنَّه ليس في كلام العرب مفعل، فلم يكن بدّ من تحويله إلى الفتحة أو الكسرة فكانت الفتحة أولى لأنَّها أخفّ، والدليل على ما قلناه أنَّه ما كان على فعل يفعل فالمصدر منه مفعل بالفتح، اسم المكان والزمان بالكسر قالوا: جلس مجلسا وهو في مجلسك، وفي الزمان أتت الناقة على مضربها بالكسر، فهذا يبيّن لك أنَّ الأصل مطلع في المكان، ثم حوّل إلى الفتح، ثم سمع من العرب أشياء تُؤخذ سماعًا بغير قياس، قالوا: مطلع للمكان الذي تطلع فيه الشمس، وقال بعضهم: مطلع للمصدر، والفتح أولى لأنَّ الفتح في المصدر قد كان لفعل يفعل، فكيف يكون في فعل يفعل؟ وأيضًا فإنّ قراءة الجماعة الذين تقوم بهم الحجة {حتّى مطلع} هذا في قوّته في العربية وشذوذ الكسر وخروجه من القياس". أهـ إعراب القرآن للنحاس (١٦٧/٥). ويُنظر: حجة القراءات (ص: ٧٦٨)، والدر المصون (٦٦/١١).

(٢) الرعد: ١٩.

والمتعدي منه وهو الإنزال يكون معناه إحلال الغير في مكان وإيواءه به، ومنه قوله -تعالى-: **{رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ}**(١). وكلا هذين المعنيين - كما ترى - لا يليقان بنزول القرآن من الله على وجه الحقيقة؛ لأنَّهما يستلزمان المكانية والجسمية والحركة والانتقال، والقرآن ليس جسمًا حتى يتصف بالهبوط من أعلى إلى أسفل أو بالانتقال من مكان والحلول في آخر؛ لذلك كان وصف القرآن بالنزول أو الإنزال أو التنزيل لا يمكن أن يكون إلا بمعنى مجازي ستقف عليه عند بيان مسائل التفسير، فانتظره.

---

(١) المؤمنون: ٢٩. ويُنظر: المفردات (ص: ٧٩٩، ٨٠٠)، و لسان العرب (٦٥٦/١١، ٦٥٧) مادة (نزل).

فإن قلتَ: هل المعنيان المذكوران حقيقيان للنزول أو أحدهما حقيقي والآخر مجازي ؟

يُقال لك: الظاهر من عبارة الزمخشري في أساسه أنَّهما حقيقيان؛ لأنَّه قال: " نزل بالمكان ونزل في المكان نزلةً واحدةً، ونزل من علوٍ إلى سفلٍ، ونزل في البئر..... ثم قال: " ومن المجاز.....". أهـ أساس البلاغة [(٢٦٣/٢، ٢٦٤) مادة نزل] ممَّا يُفهم منه أنَّ ما ذكره أولًا من باب الحقيقة، وتبعه في ذلك الدكتور/عبد الوهاب غزلان في بيانه، لكنَّه استدرك عليه بأنَّ الظاهر أنَّ المعنى الأول وهو الانحدار من علْوٍ إلى سُفْلٍ هو الأصل في المادة وإن كثُر استعمالها في المعنى الثاني حتى صارت فيه حقيقة لغوية، ثم قال: "وشعور النفس بأنَّ المعنى الأول هو الأصل في المادة يكاد يكون فطريًّا، ونقل عبارة الراغب في مفرداته [(ص: ٧٩٩) مادة (نزل)] والتي مفادها أنَّ النزول في الأصل هو انحِطَاطٌ من عُلْو".أهـ البيان في مباحث من علوم القرآن [ص: ٦٢، ٦٣] .

ولم يرتض شيخنا العلامة/إبراهيم خليفة- عليه الرحمة- حمل المعنيين على الحقيقة، وإنَّما قال: " ليس للنزول معنى حقيقي لغةً سوى مدلولٍ واحدٍ هو الهبوط من علْوٍ إلى سُفْلٍ، قلنا بذلك؛ لأنَّه المتبادر من هذه المادة عند إطلاق لفظ النزول مصدرًا أو فعلًا منفردًا أي دون أن يكون في تركيبٍ ينسب فيه النزول إلى شيء، والتبادر أقوى أمارات الحقيقة- كما يقولون- فمن ثَمَّ قال ابن فارس في مقاييس اللغة [(٤١٧/٥) مادة نزل]: " النُّونُ وَالزَّاءُ وَاللَّامُ كَلِمَةٌ صَحِيحَةٌ تَدُلُّ عَلَى هُبُوطِ شَيْءٍ وَوُقُوعِهِ". أهـ. منة المنان في علوم القرآن (٦/٢).

{ **لَيْلَةِ** }: واحدة اللَّيالي، واللَّيْل اسْمٌ لِكُلِّ لَيْلَةٍ، وحَدُّه من مَغْرِبِ الشمسِ إِلَى طلوعِ الفجرِ الصَّادِق، أَو إِلَى طلوعِ الشَّمْس، وَقَالَ الجَوْهَرِيّ: " اللَّيْلُ واحدٌ بِمَعْنى جَمعٍ، وواحدُه لَيْلَةٌ، مِثل تَمْرَةٍ وَتَمْرٍ".أهـ(١).

{ **الْقَدْر** }: تدور مادة (قدر) في اللغة حول عدة معانٍ:

أولها: مَبْلَغ الشَّيْءِ وَكُنْهِه وَنِهَايَته. قال ابن فارس: " الْقَافُ وَالدَّالُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَبْلَغِ الشَّيْءِ وَكُنْهِهِ وَنِهَايَتِهِ. فَالْقَدْرُ: مَبْلَغُ كُلِّ شَيْءٍ. يُقَالُ: قَدْرُهُ كَذَا، أَيْ مَبْلَغُهُ. وَكَذَلِكَ الْقَدَرُ".أهـ(٢).

ثانيها: التَّقْدِير. قال الراغب: " والقَدْرُ والتَّقْدِيرُ: تبيين كمّيّة الشيء. يقال: قَدَرْتُهُ وقَدَّرْتُهُ، وقَدَّرَهُ – بالتّشديد-: أعطاه الْقُدْرَةَ. يقال: قَدَّرَنِي الله على كذا وقوّاني عليه، فَتَقْدِيرُ الله الأشياء على وجهين: أحدهما: بإعطاء القدرة. والثاني: بأن يجعلها على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما اقتضت الحكمة". أهـ(٣).

ثالثها: الْقَضَاءُ والحُكْم. قال ابن منظور: " قال ابْنُ سِيدَهْ: القَدْرُ والقَدَرُ الْقَضَاءُ والحُكْم، وَهُوَ مَا يُقَدِّره اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ الْقَضَاءِ وَيَحْكُمُ بِهِ مِنَ الأُمور. قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ-: { **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**}(٤)؛ أَي الحُكْمِ، كَمَا قَالَ – تَعَالَى-: { **فِيهَا**

---

(١) الصِّحاح (١٨١٥/٥)، ويُنظر: لسان العرب (٦٠٧/١١)، وتاج العروس (٣٧٤/٣٠، ٣٧٥) مادة (ليل).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٦٢/٥) مادة (قدر)، ويُنظر: تاج العروس (٣٧٠/١٣، ٣٧١) مادة (قدر).

(٣) المفردات (ص: ٦٥٨- ٦٦٠) مادة (قدر)، ويُنظر: تاج العروس (٣٧٠/١٣، ٣٧١) مادة (قدر).

(٤) القدر: ١.

يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ }(١)". أهـ(٢).

رابعها: الضيق. يُقال: قَدَرْتُ عليه الشيء: ضيّقته، كأنَّما جعلته بقدر بخلاف ما وصف بغير حساب. قال – تعالى-: { **وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ** }(٣)، أي: ضيّق عليه، وقال: { **يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ** }(٤)، وقال: { **فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ** }(٥)، أي: لن نضيّق عليه(٦).

والقَدْرُ بالمَعَاني السَّابِقَة، كالقَدَرِ فِيهَا، وجَمْعُهما جَمِيعًا أَقْدار. وَقَالَ اللِّحْيَانِيُّ: القَدَرُ الِاسْمُ، والقَدْرُ الْمَصدَرُ(٧).

{ **أَدْراكَ**} دَرَى الشيءَ دَرْيًا ودِرْيًا ودِرْيَةً ودِرْيَانًا ودِرَايَةً: عَلِمَهُ. وَيُقَالُ: دَرَيْت الشيءَ أَدْرِيهِ عَرَفْته، وأَدْرَيْتُه غَيْرِي إِذَا أَعْلَمْته(٨).

{ **خَيْرٌ** } الخَيْرُ: ضِدُّ الشَرِّ. قال الراغب: " والخير والشرّ يُقالان على وجهين:

أحدهما: أن يكونا اسمين كما في قوله – تعالى -: { **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ** }(٩). والثاني: أن يكونا وصفين، وتقديرهما تقدير (أفعل منه)، نحو: هذا خير من ذاك وأفضل، ومنه قوله: { **نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها** }(١٠)، وقوله: { **وَأَنْ**

---

(١) الدخان: ٤.

(٢) لسان العرب (٧٤/٥، ٧٥)، ويُنظر: تاج العروس (٣٧٠/١٣، ٣٧١) مادة (قدر).

(٣) الطلاق: ٧.

(٤) الروم: ٣٧.

(٥) الأنبياء: ٨٧.

(٦) المفردات (ص: ٦٥٨- ٦٦٠) مادة (قدر).

(٧) يُنظر: لسان العرب (٧٤/٥، ٧٥)، وتاج العروس (٣٧٠/١٣، ٣٧١) مادة (قدر).

(٨) يُنظر: لسان العرب (٢٥٤/١٤) مادة (درى).

(٩) آل عمران: ١٠٤.

(١٠) البقرة: ١٠٦.

تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ}(١)، وقوله: { **وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى** }(٢)، تقديره تقدير أفعل منه".أهـ(٣).

وإذا استعمل (خير) بمعنى أفعل التفضيل، فلا يُذكر ولا يُؤنث، ولا يُثَنَّى ولا يُجْمَع، فتقول: فلانة خَيْرُ الناس، ولا تقول: خَيْرَةُ، وفلان خيرُ الناسِ، ولا تَقُلْ أَخْيَرُ. أمَّا إذا استعمل وصفًا جاز تذكيره وتأنيثه، وتثنيته وجمعه، فتقول: رجل خَيِّرٌ وخَيْرٌ - مشدد ومخفف- وكذلك امرأة خَيِّرةٌ وخَيْرَة. قال الله – تعالى-: { **وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ** }(٤) جمع خَيْرَةٍ، وهي الفاضِلَةُ من كلِّ شئ. وقال – تعالى- : { **فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ** }(٥) قال الأخفش: إنَّه لمَّا وصف به وقيل فلان خير، أشبه الصفات فأدخلوا فيه الهاء للمؤنث، ولم يريدوا به أفعل(٦). والمراد به هنا أفعل التفضيل.

{ **مِنْ أَلْفِ** } الأَلْفُ: العدد المعروف، وهو مذكر، بدليلِ: قَوْلِهِمْ: ثلاثةُ آلافٍ، وَلم يَقُولُوا ثَلَاث آلَاف، يُقال: هذا أَلْفٌ واحدٌ، ولا يقال: واحدة. وهذا أَلْفٌ أَقرعُ، أي تامٌّ، ولا يقال: قرعاءُ. قَالَ ابنُ السِّكِّيت: ولَوْ أَنِّثَ باعْتِبَارِ الدَّرَاهِمِ لَجَازَ، بِمَعْنى هذِه الدَّرَاهِمِ أَلْفٌ. والجمع: أُلوفٌ وآلافٌ، كَمَا فِي الصِّحاحِ، ويُقَال: ثَلاثةُ آلافٍ إِلَى العشرةِ، ثمَّ أَلوف جَمْعُ الجَمْعِ، قَالَ اللهُ - عَزَّ وجَلَّ-: { **وهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ**

---

(١) البقرة: ١٨٤.
(٢) البقرة: ١٩٧.
(٣) المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٠٢) (خير) بتصرفٍ يسير.
(٤) التوبة: ٨٨.
(٥) الرحمن: ٧٠.
(٦) يُنظر: الصِّحاح (٦٥١/٢، ٦٥٢)، وتاج العروس (٢٤٢/١١، ٢٤٣) مادة (خير).

الْمَوْتِ }(١)، كَمَا فِي اللِّسَانِ. ويُقال: أَلَفَهُ يَأْلِفُهُ بالكسر: أعطاه أَلْفًا. وقد آلفت الإبل – ممدودة- أي: صارت ألفًا. قال ابن الأعرابي: آلفت القوم: صيَّرتهم ألفًا، وآلفتهم، صيَّرتهم ألفًا بغيري، وآلفوا: صاروا ألفًا. وسمّي العدد المعروف بذلك؛ لكون الأعداد فيه مؤتلفة، فإنَّ الأعداد أربعة: آحاد وعشرات ومئات وألوف، فإذا بلغت الألف فقد ائتلفت، وما بعده يكون مكررًا(٢).

{ شَهْرٍ }: الشَّهْر مأخوذ من الشُهْرَةُ، وهي: وضوح الأمر وظهوره. تقول منه: شَهَرْتُ الأمر أَشْهَرُهُ شَهْرًا وشُهْرَةً، فاشْتَهَرَ أي وضح وظهر، وكذلك شَهَّرْتُهُ تَشْهيرًا، ولفلان فضيلةٌ اشْتَهَرَها الناسُ، أي: شهروه بها، وشَهَرَ سفيه يُشهره شهرًا، أي سلَّه.

قال ابْنُ سِيدَهْ: وَالشَّهْرُ الْعَدَدُ الْمَعْرُوفُ مِنَ الأَيام، سُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنه يُشْهَر بِالْقَمَرِ وَفِيهِ عَلَامَةُ ابْتِدَائِهِ وَانْتِهَائِهِ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: سُمِّيَ الشَّهْرُ شَهْرًا لِشُهْرَتِهِ وَبَيَانِهِ، وَقَالَ أَبو الْعَبَّاسِ: إنما سُمي شَهْرًا لِشُهْرَتِهِ وَذَلِكَ أَن النَّاسَ يَشْهَرُون دُخُولَهُ وَخُرُوجَهُ، وَقيل: سُمِّيَ شَهْرًا باسمِ الهِلالِ إِذَا أَهَلَّ، والعَرَبُ تَقول: رَأَيْتُ الشَّهْرَ، أَي رأَيْتُ هِلالَه. وَالْجَمْعُ: أَشْهُرٌ وشُهور. وَقَالَ اللَّيْث: الشَّهْرُ والأَشْهُرُ عَدَدٌ، والشُّهُورُ: جماعةٌ(٣).

{ تَنَزَّلُ } أصله: تتنزل بتائين، حذفت إحداهما للتخفيف على حد قول ابن

---

(١) البقرة: ٢٤٣.

(٢) يُنظر: الصِّحاح (١٣٣١/٤)، ومعجم مقاييس اللغة (١٣١/١)، والمفردات في غريب القرآن للراغب (ص:٨٢)، ولسان العرب (٩/٩)، وتاج العروس (٢٨/٢٣) مادة (ألف).

(٣) يُنظر: الصِّحاح (٧٠٥/٢)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٥١٥/٢)، ولسان العرب (٤٣٢/٤)، وتاج العروس (٢٦٣/١٢) مادة (شهر).

مالك:

وَمَا بِتَانَيْنِ ابْتُدِيْ قَدْ يُقْتَصَرْ ** فِيْهِ عَلَى تَاءٍ كَتَبْيِيْنِ الْعِبَرْ(١).

{ **الْمَلَائِكَةُ** }: جمع ملك، وأصله (مَلْأَك) على وزن (مَفْعَل)، فجمع على الأصل على (مفاعل)، فقيل: (مَلائِك) كشَمْأَل وشَمَائِل. وزيدت التاء للمبالغة. وقيل لتأنيث الصيغة(٢)، وإذا حذفت امتنع صرفه لصيغة منتهى الجموع، وبه يلغز فيقال: كلمة إذا حذف من آخرها حرف امتنع صرفها. واختلفوا في اشتقاق (ملك) على ثلاثة أقوال:

الأول: مشتقٌ من الأُلُوكَة، وهي الرسالة، فهم رسل إلى الناس وكالرسل إليهم، وعلى هذا القول يكون (مَلْأَكٌ) مقلوبًا وأصله: (مَأْلَك، ومألكة) - بفتح اللام وضمها-، والهمزة فاء الفعل، فقلبوا فيه قلبًا مكانيًّا، قُلبت الهمزة، فصارت بعد اللام، ثم خففت الهمزة فألقيت حركتها على اللام قبلها فصار ملكًا، فجمع على قلبه، ولم يرده الجمع إلى أصله لقلة استعماله بالهمز في الواحد، ولو جمع على أصله لقال: (مَآلِكَة)، ولكن لم يسمع جمعه على الأصل، وعلى هذا القول يكون (مَلْأَكٌ) صفة مشبهة. وهذا قول الكسائي، ورُدَّ بأنَّ القلب خلافُ الأصل.

الثاني: مشتق من (المَلْك) - بفتح الميم وسكون اللام- بمعنى القوة، وأصله: (مَلْأَك) على وزن(فَعْأَل) - بسكون العين وفتح الهمزة - كشَمْأَل، فالهمزة زائدة، ولا قلب فيه، إنَّما فيه في الواحد تخفيف الهمزة بنقل حركتها إلى الساكن قبلها وهو اللام، وهذا قول ابن كيسان، ورُدَّ بأنَّ دعوى زيادة حرفٍ بلا فائدة دعوى

---

(١) ألفية ابن مالك (ص: ٧٩) باب الإدغام.

(٢) والظَّاهر أن تأنيث ملائكة سرى إلى لغة العرب من كلام المتنصرين منهم؛ إذ كانوا يعتقدون أنَّ الملائكة بنات الله واعتقده العرب – أيضا- كما أخبر القرآن عنهم: **{**وَيَجْعَلُونَ للهِ البَنَاتِ سُبْحَانَهُ**}** [النحل: ٥٧]. يُنظر: التحرير والتنوير (٢٩٧/١).

بعيدة.

الثالث: مشتق من (لَأَك) إذا أرسل، وإنَّما اشتق اسم الملك من الإرسال؛ لأنَّ الملائكة رسل الله، وأصله (مَلْأَك) على وزن (مَفْعَل) مصدر ميمي بمعنى المفعول أو اسم مكان على المبالغة، فاللام (فاء) والهمز (عين) ولا قلب فيه. وهذا قول أبي عبيدة، وهو الرَّاجح(١).

{ والرُّوحُ }: يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ، وَالْجَمْعُ الأَرواح. وتأْويلُه: أَنَّه مَا بِهِ حياةُ النفْس. قَالَ الْفَرَّاءُ: والرُّوح هُوَ الَّذِي يَعِيشُ بِهِ الإنسان، لَمْ يُخْبِرِ اللَّهُ – تَعَالَى- بِهِ أَحدًا مِنْ خَلْقِهِ وَلَمْ يُعْطِ عِلْمَه الْعِبَادَ. قَالَ: وَقَوْلُهُ - عَزَّ وَجَلَّ-: **{ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي }**(٢)؛ فَهَذَا الَّذِي نَفَخَه فِي آدَمَ وَفِينَا لَمْ يُعْطِ عِلْمَهُ أَحدًا مِنْ عِبَادِهِ؛ قَالَ: وَسَمِعْتُ أَبا الْهَيْثَمِ يَقُولُ: الرُّوحُ إنما هُوَ النَّفَسُ الَّذِي يَتَنَفَّسُهُ الإنسان، وَهُوَ جارٍ فِي جَمِيعِ الْجَسَدِ، فإِذا خَرَجَ لَمْ يَتَنَفَّسْ بَعْدَ خُرُوجِهِ، فإِذا تَتامَّ خروجُه بَقِيَ بَصَرُهُ شَاخِصًا نَحْوَهُ، حَتَّى يُغَمَّضَ(٣).

وقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ «الرُّوحِ» فِي الْقُرْآنِ، وَوَردت فِيهِ عَلَى مَعَان، والغالبُ مِنْهَا أَنَّ المرادَ بِالرُّوحِ الَّذِي يقُوم بِهِ الجَسَد وتكونُ بِهِ الحياةُ، وَقَدْ أطلقْ عَلَى الْقُرْآنِ،

---

(١) يُنظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه لمكي بن أبي طالب (٢١٣/١ – ٢١٥)، والنهاية لابن الأثير (٣٥٩/٤) (ألك)، والتفسير البسيط للواحدي (٣٠٨/٢- ٣١٩)، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (١٠٢،١٠٣/١) (ألك)، وتاج العروس (٣٥٤/٢٧، ٣٥٥) (ألك)، وروح المعاني (٢٢٠/١)، والتحرير والتنوير (٢٩٧/١، ٢٩٨).

(٢) الحجر: ٢٩، وص: ٧٢.

(٣) لسان العرب (٤٦٢/٢) مادة (روح).

والوَحْى، والرحْمة، وَعَلَى جِبْرِيلَ – عليه السلام(١). وسيأتيك أقوال المفسّرين في المراد بالرُّوح في السُّورة الكريمة في مباحث التفسير، فانتظره.

{ **بِإِذْنِ** } الإذنُ في الشيء: إعلامٌ بإجازته والرخصة فيه، نحو: { **وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ** }(٢) أي: بإرادته وأمره(٣).

{ **مِنْ كُلِّ أَمْرٍ** } الأَمْرُ: الشأن. والأَمْرُ: الْحَادِثَةُ، وَالْجَمْعُ أُمورٌ. وهو مصدر أَمرتُه بِكَذَا أَمرًا، وَالْجَمْعُ الأَوامِرُ: إذا كلّفته أن يفعل شيئًا، وهو لفظ عام للأفعال والأقوال كلِّها(٤).

وَقد فَرَّق بعضهم فِي الجَمع، فَقَالُوا: إنَّ الأَمر إذا كَانَ بمعنَى ضِدِّ النَّهْي فجمعُه أَوَامِرُ، وإذا كَانَ بمعنَى الفِعْلِ أَو الشأْنِ فجمعُه أمُور، وَعَلِيهِ أَكثُر الفُقَهاء، وَهُوَ الجارِي فِي أَلْسِنَة الأَقوام.

قال الزَّبيدي في تاج العروس: " وَلَا يعْرَف مَن وافقَهم إلا الجوهريّ فِي قَوْله: أَمَرَه بِكَذَا أَمْرًا وجمعُه أَوامِرُ، وأَما الأَزهريُّ فإنه قَالَ: الأَمْرُ ضِدُّ النَّهْيِ واحدُ الأُمُور. وَفِي المُحكَم: لَا يُجمَع الأَمرُ إِلّا على أُمور، وَلم يَذْكُر أَحدٌ من النُّحاة أَنَّ فَعْلًا يُجمَع على فَوَاعِلَ، أَو أَنَّ شَيْئا مِن الثُّلاثِيَّاتِ يُجْمَع على فَوَاعِلَ. وَفِي المِصباح: جَمْعُ الأَمْرِ أَوامرُ، هكذا يَتكلَّم بِهِ النَّاس". أهـ(٥).

{ **سَلَامٌ** }:(السين واللام والميم) مادة تفيد معنى التخلص من الآفات والنجاة

---

(١) يُنظر: النهاية لابن الأثير (٢٧١/٢، ٢٧٢) (روح).

(٢) النساء: ٦٤.

(٣) يُنظر: المفردات في غريب القرآن (ص: ٧١) مادة (أذن).

(٤) يُنظر: المفردات في غريب القرآن (ص: ٨٨)، ولسان العرب (٢٧/٤) مادة (أمر).

(٥) تاج العروس (٦٩/١٠) مادة (أمر).

منها، قال ابن فارس: "السين، واللام، والميم: مُعظم بابِه من الصَّحةِ والعافيةِ، ويكون فيه ما يشذُّ، والشاذُّ عنه قليل، فالسلامةُ: أن يسلمَ الإنسانُ من العاهةِ والأذى.

فالله -جلَّ ثناؤه- هو السلام؛ لسلامتِه مما يلحقُ المخلوقين من العيبِ والنقصِ والفناء، قال الله جل جلاله: { **واللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ**}(١)، ومن معناه: المسالمة، وهو المصالحة، وتجنب الحرب". أهـ(٢).

والسَّلامُ: التَّحِيَّةُ، قَالَ أَبو الْهَيْثَمِ: السَّلامُ وَالتَّحِيَّةُ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ، وَمَعْنَاهُمَا السَّلامَةُ مِنْ جَمِيعِ الْآفَاتِ(٣).

{ **حَتَّى** }: حرف يَأْتِي لأحد ثَلَاثَة معَان: انْتِهَاء الْغَايَة – كما هنا - وَهُوَ الْغَالِب، وَالتَّعْلِيل، وَبِمَعْنى إِلَّا فِي الِاسْتِثْنَاء وَهَذَا أقلهَا، وَقلَّ مَنْ يذكرهُ. وتستعمل على ثَلَاثَة أوجهٍ:

الوجه الأول: أَن تكون حرفًا جارًّا بِمَنْزِلَة إِلَى فِي الْمَعْنى وَالْعَمَل، وَلكنَّهَا تخالفها فِي ثَلَاثَة أُمُور:

الأول: أَنَّ لمخفوضها شرطين: أَحدهمَا: عَام وَهُوَ أَن يكون ظَاهرا لَا مضمرا خلافًا للكوفيين والمبرد، فأمَّا قوله:

أتَتْ حَتّاك تَقْصِدُ كُلَّ فجٍّ ** تُرَجّى مِنْك أنْها لَا تَخيب(٤).

---

(١) يونس:٢٥.

(٢) مقاييس اللغة (٩١/٣) مادة (سلم).

(٣) يُنظر: لسان العرب (٢٩٠/١٢، ٢٩١) مادة (سلم).

(٤) البيت من الوافر، وهو بلا نسبة في: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١٦٦/١)، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك (٦٩/٢)، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٤٢٥/٢)، وحاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك (٣١٢/٢). وتقصده: تسير باتجاهه. الفج:

فضرورة.

وَالشّرط الثَّانِي خَاص بالمسبوق بِذِي أَجزَاء، وَهُوَ أَن يكون الْمَجْرُور آخرًا نَحْو: أكلت السَّمَكَة حَتَّى رَأسهَا، أَو ملاقيًا لآخر جُزْء نَحْو: { **سَلام هِيَ حَتَّى مطلع الْفجْر**}(١)، وَلَا يجوز سرت البارحة حَتَّى ثلثهَا أَو نصفهَا كَذَا قَالَ المغاربة وَغَيرهم.

الثاني: أَنَّهَا إِذا لم يكن مَعهَا قرينَة تَقْتَضِي دُخُول مَا بعْدهَا أَو عدم دُخُوله، حُمل على الدُّخُول وَيحكم فِي مثل ذَلِك لما بعد إِلَى بِعَدَمِ الدُّخُول حملًا على الْغَالِب فِي الْبَابَيْنِ، هَذَا هُوَ الصَّحِيح فِي الْبَابَيْنِ.

الثالث: أَنَّ كلًّا مِنْهُمَا قد ينْفَرد بِمحل لَا يصلح للْآخر.

فمما انْفَرَدت بِهِ (إِلَى) أَنَّه يجوز كتبت إِلَى زيد، وَأَنا إِلَى عَمْرو أَي هُوَ غايتي، وسرت من الْبَصْرَة إِلَى الْكُوفَة. وَلَا يجوز حَتَّى زيد، وَحَتَّى عَمْرو، وَحَتَّى الْكُوفَة أمَّا الْأَوَّلَانِ فَلِأَن حَتَّى مَوْضُوعَة لإفَادَة تقضي الْفِعْل قبلهَا شَيْئا فَشَيْئًا إِلَى الْغَايَة وَإِلَى لَيست كَذَلِك، وَأمَّا الثَّالِث فلضعف حَتَّى فِي الْغَايَة فَلم يقابلوا بهَا ابْتِدَاء الْغَايَة.

وَمِمَّا انْفَرَدت بِهِ (حَتَّى) أَنَّه يجوز وُقُوع الْمُضَارع الْمَنْصُوب بعْدهَا نَحْو: سرت حَتَّى أدخلها وَذَلِكَ بِتَقْدِير حَتَّى أَن أدخلها، وَأَن المضمرة وَالْفِعْل فِي تَأْوِيل مصدر مخفوض بحتَّى، وَلَا يجوز سرت إِلَى أدخلها، وَإِنَّمَا قُلْنَا إِن النصب بعد حَتَّى بِأَن مضمرة لَا بِنَفسِهَا كَمَا يَقُول الْكُوفِيُّونَ؛ لِأَنَّ حَتَّى قد ثَبت أَنَّهَا تخْفض

الطريق الواسع بين جبلين. ترجي: تأمل وتتمنى. والمعنى: جاءت الناس إليك من كل طريق ومكان، تتمنى أن تعود بما جاءت من أجله، وأن لا تفشل مساعيها. والشاهد فيه: (حتَّاك) حيث جُرَّ بـــــــ(حتَّى) الضمير المتصل (كاف الخطاب)، فجر مضمرًا، وهذا لضرورة الشعر.

(١) القدر: ٥.

الْأَسْمَاء وَمَا يعْمل فِي الْأَسْمَاء لَا يعْمل فِي الْأَفْعَال وَكَذَا الْعَكْس.

الوجه الثاني: أن تكون عاطفة بمنزلة الواو، إلا أنَّ بَينهمَا فرقًا من ثَلَاثَة أوجهٍ:

الفرق الأول: أنه يُشترط لمعطوفها شروط:

أحدها: أن يكون ظاهرًا لا ضميرًا.

ثانيها: أَن يكون إِمَّا بَعْضًا من جمع قبلهَا؛ نجو: قدم الحاج حتى المشاة، أو جُزْءا من كل؛ نَحْو: أكلت السمكة حتى رأسها، أَو كجزء؛ نَحْو: أعجبتني الْجَارِيَة حَتَّى حَدِيثهَا، وَيمْتَنع أَن تَقول حَتَّى وَلَدهَا، وضابط ذلك أنَّها تقع حيث يقع الاستثناء وتمتنع حيث يمتنع.

ثالثها: أَن يكون غَايَة لما قبلهَا إِمَّا فِي زِيَادَة أَو نقص؛ فَالْأول نَحْو: مَاتَ النَّاس حَتَّى الْأَنْبِيَاء، وَالثَّانِي نَحْو، زارك النَّاس حَتَّى الحجامون، وَقد اجْتمعَا فِي قَوْله:

قهرنَاكُمُ حَتَّى الكماةُ فأنتمُ ** تهَابُوننا حَتَّى بَنِينا الأصَاغِرا(١).

الفرق الثاني: أَنَّهَا لَا تعطف الْجمل؛ وَذَلِكَ لِأَن شَرط معطوفها أَن يكون جُزْءا مِمَّا قبلهَا أَو كجزء مِنْهُ كَمَا سبق بيانه، وَلَا يَتَأَتَّى ذَلِك إِلَّا فِي الْمُفْرَدَات – على

---

(١) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١٧٢/١)، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك (٣٦٩/٢)، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٢١٣/٢)، وحاشية الصَّبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك (١٤٣/٣). وقهرناكم: أذللناكم بعدما غلبناكم. الكماة: الفرسان المدبجون بالسلاح. تهابوننا، تخافوننا. الأصاغر: الصغار. والمعنى: لقد غلبناكم وأذللناكم جميعًا، وكسرنا شوكة فرسانكم الأشداء، لذا فأنتم تخافوننا وصرتم تخافون حتى أولادنا الصغار. والشاهد فيه قوله: (حتَّى الكماة)، و(حتى بنينا) حيث عطفت (حتَّى) في الجملتين ما بعدها على ما قبلها، ومعطوفها غاية لما قبلها، فالأول في الزيادة والثاني في النقص.

الصَّحِيح.

الفرق الثالث: أنَّها إذا عطفت على مجرور أُعيد حرف الجر لئلا يُتوهم أنَّها الجارة، فتقول: مررت بالقوم حتى بزيد، فإن أمن اللبس جاز عدم إعادته، فتقول: عجبت من القوم حتى بنيهم.

الوجه الثالث - من أوجه حتَّى-: أن تكون حرف ابتداء أي تستأنف الجمل بعده، فتدخل على الجمل الاسمية كقوله:

فَمَا زَالَت القَتْلى تمُجُّ دماءَها ** بدجلةَ حَتَّى ماءُ دجلَة أشْكلُ(١).

وعلى الفعلية التي فعلها مضارع، كقراءة نافع $: { **حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ**}(٢) بِرَفْع يَقُول(٣)، وعَلى الفعلية الَّتِي فعلهَا مَاض نَحْو: { **حَتَّى عفوا وَقَالُوا**}(٤).

وَقد يكون الْموضع صَالحا لأقسام حَتَّى الثَّلَاثَة كَقَوْلِك: أكلت السَّمَكَة حَتَّى

---

(١) البيت لجرير بن عطية من قصيدة يهجو بها الأخطل، وهو من الطويل. يُنظر: ديوانه (ص: ٣٤٤)، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١٧٣/١)، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٤٢٧/٢)، وحاشية الصَّبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك (٤٤٠/٣).
والقتلى جمع قتيل، تمج: ترمي وتقذف، دجلة- بكسر الدال-: نهر العراق، أشكل ماء: أشكل إذا خالطه دم، والأشكل الذي يخالطه حمرة. والمعنى: لشدّة المعركة كثرت القتلى التي ترمي بدمائها في نهر دجلة، فصار ماؤه محمرًا لكثرة الدماء المنصبّة فيه. والشاهد فيه: (حتَّى ماءُ) برفع: ماء، حيث دخلت (حتَّى) على الجملة الاسمية؛ لأنَّها هنا حرف ابتداء.

(٢) البقرة: ٢١٤.

(٣) قرأ نافع بالرفع؛ لأنَّه ماض بالنسبة إلى زمن الإخبار أو حال باعتبار حكاية الحال الماضية، والناصب يخلص للاستقبال فتنافيا، وقرأ الباقون بالنصب؛ لأنَّ (حتَّى) من حيث هي حرف جر لا تلي الفعل إلا مؤولًا بالاسم, فاحتيج إلى تقدير مصدر، فأضمرت (أن) وهي مخلصة للاستقبال, فلا تعمل إلا فيه, ويقول حينئذٍ مستقبل بالنظر إلى زمن الزلزال فنصبته مقدرة وجوبًا. يُنظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص: ٢٠٢).

(٤) الأعراف: ٩٥.

رَأسهَا، فلك أَن تخْفض على معنى إِلَى، وَأَن تنصب على معنى الْوَاو، وَأَن ترفع على الِابْتِدَاء، فعلى الأول يكون رأس مجرورًا، وعلى الثاني منصوبًا، وعلى الثالث مرفوعًا، والرأس في حالتي النصب والرفع مأكول، وفي حالة الجر غير مأكول(١).

{ **مَطْلَعِ** } بفتح اللام وكسرها، فهما مصدران في لغة بني تميم، وقيل: المصدر بالفتح، والموضع بالكسر عند أهل الحجاز(٢). وقد تقدَّم آنفًا عند الكلام على القراءات الواردة في السُّورة الكريمة، فارجع إليه إن شئتَ.

{ **الْفَجْرُ** }: شقّ الشيء شقًّا واسعًا، ومنه قيل للصّبح: فَجْرٌ، لكونه فجر الليل. والفجر إذا أطلق انصرف إلى الفجر الصادق؛ لأنَّه هو الذي يتعلق به الأحكام الشَّرعيَّة(٣).

(ب) الإعراب:

{ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** }(٤): { **إِنَّا** }: ناصب واسمه، { إنَّ} حرف توكيد ونصب، {نا} ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب اسم { إنَّ}.

{ **أَنْزَلْنَاهُ** }: فعل وفاعل ومفعول، { أَنْزَل } فعل ماض مبني على السكون؛ لاتصاله بـــ{ نا} الفاعلين، و{ نا} ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل، والهاء ضمير منفصل مبني على الضم في محل نصب مفعول به،

---

(١) يُنظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١٦٦/١ – ١٧٦)، وموصل الطلاب إلى قواعد الإعراب (ص:١٠٤- ١٠٩)، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٤٢٣/٢ – ٤٢٩)، وحاشية الصَّبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك (٤٣٤/٣- ٤٤٠). بتصرفٍ وتلخيصٍ.

(٢) يُنظر: المحرر الوجيز (٥٠٦/٥)، والبحر المحيط (٥١٦/١٠).

(٣) يُنظر: المفردات في غريب القرآن (ص: ٦٢٥، ٦٢٦)، وحدائق الروح والريحان (١٩٧/٣٢).

(٤) القدر: ١.

والجملة الفعلية في محل رفع خبر { إنَّ}، و{ إنَّ} واسمها وخبرها جملة مستأنفة استئنافًا نحويًا.

{ **فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** }: { في} حرف جر، { ليلة} اسم مجرور بـ { في } وعلامة جره الكسرة، و {ليلة} مضاف، { الْقَدْرِ } مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة، والجار والمجرور والمضاف إليه متعلق بـ { أَنْزَلْنَاهُ }.

{ **وَما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ**}(١): { الواو} حرف عطف، و { ما} اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، و{أَدْرَاكَ}: { أدرى} فعل ماض مبني على الفتح، وفاعله ضمير مستتر يعود على { ما }، والكاف ضمير متصل مبني على الفتح في محل نصب مفعول أول لـــ { أدرى }، والجملة الفعلية {أَدْرَاكَ} المكونة من الفعل والفاعل المستتر والمفعول في محل رفع خبر المبتدأ، و { ما} الثانية: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، و { ليلة القدر} خبر { ما} الثانية، والجملة المعلقة بالاستفهام سدّت مسدّ المفعول الثاني لـ {أدرى}، و { أَدْرَاكَ} ومفعولاها خبر {مَا } الأولى.

{ **لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**}(٢): { ليلة } مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة، وهو مضاف، {القدر} مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة، و { خير} خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة، و{من} حرف جر، و{ ألف} اسم مجرور بـــ { من} وعلامة جره الكسرة، وهو مضاف، و { شهر} مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة، والجار والمجرور والمضاف إليه متعلق بـــ {خَيْرٌ}، وجملة { لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ} جملة إسمية مستأنفة استئنافًا

---

(١) القدر: ٢.

(٢) القدر: ٣.

بيانيًا واقعًا في جواب سؤالٍ مقدرٍ نشأ عن تفخيم ليلة القدر، تقديره: وما فضائلها؟

{ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ}(١):

{ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ }: { تَنَزَّلُ } فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة، و{الْمَلَائِكَةُ } فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة.

{وَالرُّوحُ }: {الواو} حرف عطف، و{الرُّوحُ } معطوف على فاعل{تَنَزَّلُ}، وهو {الْمَلَائِكَةُ}، والمعطوف على المرفوع مرفوع.

ويجوزُ أَنْ يرتفعَ { الرُّوحُ } بالابتداءِ، والجارُّ بعدَه { فيها} خبرهُ.

{ فِيهَا }: { في } حرف جر، والهاء ضمير متصل مبني في محل جر بحرف الجر { في }، والجار والمجرور متعلقان بـــ { تَنَزَّلُ }، ويجوز أن يتعلقا بمحذوفٍ حالٍ من فاعل{ تَنَزَّلُ }، وهو {الْمَلَائِكَةُ}؛ أي: ملتبسين فيها.

{ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ }: { الباء} حرف جر، و { إذن} اسم مجرور بـــ {الباء } وعلامة جره الكسرة، وهو مضاف، و { رَبِّهِمْ } { ربِّ} مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة، وهو مضاف، و{ هم } ضمير متصل مبني على السكون في محل جر مضاف إليه، والجار والمجرور متعلقان بـــ {تَنَزَّلُ }، ويجوز أن يتعلقا بمحذوفٍ حالٍ من فاعل {تَنَزَّلُ }، وهو {الْمَلَائِكَةُ}؛ أي: ملتبسين بإذن ربِّهم.

{ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ }: { من } حرف جر، و { كلِّ} اسم مجرور بـــ { من } وعلامة جره الكسرة، وهو مضاف، و { أمرٍ} مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة، والجار والمجرور متعلقان بـــــ {تَنَزَّلُ} أيضًا، و {مِنْ} بمعنى اللام التعليلية؛ أي: تَنَزَّلُ من أجل كلِّ أمرٍ قضاه الله – تعالى- في تلك الليلة، وقيل:

---

(١) القدر: ٤.

{مِنْ} بمعنى الباء؛ أي: تَنَزَّلُ بكلِّ أمرٍ قضاه الله – تعالى- في تلك الليلة، فهي للتعدية (١).

وجملة { **تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ**} مستأنفة استئنافًا ثانيًا مسوق للإجابة عن السؤال المذكور في الجملة التي قبلها.

{ **سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**}(٢): { سَلَامٌ }: خبر مقدم مرفوع وعلامة رفعه الضمة. {هِيَ}: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ مؤخر(٣).

{ حتى } حرف غاية وجر، { مطلع } اسم مجرور بـــ { حتى } وعلامة جره الكسرة، وهو مضاف، و{ الْفَجْرِ} مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة، والجار والمجرور متعلقان بـــــ {تَنَزَّلُ } أيضًا، وجملة {سَلامٌ هِيَ } معترضة بين الجار ومتعلَّقه، أي: لا ينقطع تَنَزلُ الملائكة فوجًا بعدَ فوجٍ إلى طلوعِ الفجرِ، ويجوز أن يتعلقا بـــ { سَلَامٌ }؛ أي: الملائكة مُسلِّمة إلى مطلع الفجر، وفيه إشكال، وهو الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدأ، والجواب: أنَّ الظروف والجار والمجرور يُتوسَّع فيها ما لا يُتوسَّع في غيرها، وقيل: الأحسن أن يتعلقا بمحذوفٍ تقديره: يستمرون على التسليم من غروب الشمس حتى مطلع الفجر، وجملة { سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} مستأنفة واقعة في جواب السؤال

---

(١) وقيل: الجار والمجرور **{**مِنْ كلِّ أَمْرٍ**}** ليس متعلقًا بـــ **{**تَنَزَّلُ**}** إنما هو متعلِّقٌ بما بعده، أي: هي سلامٌ مِنْ كلِّ أمرٍ مَخُوفٍ، وهذا لا يجوز على ظاهِره؛ لأنَّ **{**سَلام**}** مصدر يمتنع تقدم معموله عليه، كما أنَّ الصلة كذلك لا يجوز تقديمها على الموصول، وإنَّما المرادُ أنَّه متعلِّقٌ بمحذوفٍ يَدُلُّ عليه هذا المصدرُ. يُنظر: البحر المحيط (٥١٦/١٠)، والدر المصون (٦٣/١١).

(٢) القدر: ٥.

(٣) هذا هو المشهورُ، ويجوز أنْ يرتفع **{**سَلاَمٌ**}** بالابتداء و**{**هِيَ**}** فاعلٌ بسلام، على قول الأخفش؛ لأنه لا يَشْتَرِطُ الاعتمادَ في عَمَلِ الوصفِ. يُنظر: التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري (١٢٩٦/٢)، والدر المصون (٦٦/١١).

المذكور سابقًا(١).

(ج) اللَّطائف البيانية:

تضمنت هذه السُّورة الكريمة ضروبًا من البلاغة، وأنواعًا من الفصاحة والبيان والبديع، فإليك بيانها:

- الافتتاح بـحرف { **إنَّ**} المكسورة، والإخبار بالجملة الفعلية في قوله: { **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ** }؛ لتأكيد الكلام وتقويته، والردِّ على المنكِر أو الشاك.

- الإتيان بضمير المتكلم المعظِّم نفسَه وهو الله – تعالى-، وإسناد الإنزال إليه في قوله: {**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ** }؛ للتنويه بشرف القرآن وعظمته.

- الاستعارة التصريحية التبعية(٢) في قوله: { **أَنْزَلْنَاهُ** } حيث شبَّه الإيحاء

---

(١) يُراجع في إعراب السورة: مشكل إعراب القرآن لمكي (٨٣٠/٢)، والتبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري (١٢٩٦/٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥١٥/١٠، ٥١٦)، والدر المصون للسمين الحلبي (٦٣/١١ – ٦٦)، وإعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين درويش (٥٣٧/١٠، ٥٣٨).

(٢) الاستعارة التصريحية: هي ما صرّح فيها بلفظ المستعار منه (المشبّه به) وحذف المستعار له (المشبّه), كقولك: "زارني بحرٌ في منزلي". فقد شُبِّه الجواد بالبحر في الإمداد, ثم تُنوسي التشبيه، وجُعل المشبه فرد من أفراد المشبه به، ثم استعير لفظ المشبه به وهو (بحر) للمشبه استعارة تصريحية, وسُمِّيت بذلك؛ للتصريح فيها بلفظ المشبه به. وهي باعتبار اللفظ المستعار قسمان: أصلية, وتبعية. فالأصلية: ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس حقيقة، أو تأويلًا. وسميت أصلية؛ نسبة إلى الأصل بمعنى الكثير الغالب، ولا شك أنها أكثر وجودًا في الكلام من التبعية الآتية بعد، أو نسبة إلى الأصل بمعنى الاستقلال وعدم التبعية لاستعارة أخرى، تعتبر أولا، كما سيأتي في التبعية.
والتبعية: ما كان اللفظ المستعار فيها فعلًا، أو اسمًا مشتقًّا, أو حرفًا، وسُمِّيت الاستعارة في الفعل والاسم المشتق تبعية؛ لجريانها فيهما تبعًا لجريانها في المصدر. يُنظر: علوم البلاغة لأحمد المراغي (ص: ٢٧٤- ٢٧٦)، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح (٤٧٥/٣، ٤٧٦)، والمنهاج الواضح لحامد عوني (١٠٨/١ – ١١١).

بالإنزال، واستُعير الإنزال للإيحاء، أنزلنا بمعنى: أوحينا بجامع الإعلام في كلٍّ على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية؛ لأنَّ الإنزال وصفٌ للأجسام، والقرآن عَرَض لا جسم، فكيف يُوصف بالإنزال، ويحتمل كون إسناد الإنزال إلى القرآن مجازًا عقليًا، وحقه أن يُسند إلى حامله، فالتجوز إمَّا في الظرف أو الإسناد.

- الإضمار في موضع الإظهار في قوله: { **أَنْزَلْنَاهُ** }؛ لأن ضمير الغيبة للقرآن ولم يُسبق له ذكر؛ اكتفاءً بشهرته لأنَّ شهرته تقوم مقام التصريح باسمه، فهو أشهر من أن يُذكر؛ وإيماءً إلى أنَّه حاضرٌ في أذهان المسلمين لشدة إقبالهم عليه.

- إطلاق ضمير القرآن على بعضه من باب المجاز المرسل بعلاقة الجزئية حيث أطلق ضمير الكل في قوله: { **أَنْزَلْنَاهُ** }، وأراد البعض الذي ابتدئ إنزاله في ليلة القدر.

- الإطناب بذكر { **لَيْلَةِ الْقَدْرِ**} ثلاث مرات زيادةً في الاعتناء بشأنها، وتفخيمًا لأمرها.

- الاستفهام في قوله: { **وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ**}؛ لغرض التفخيم والتعظيم.

- الإظهار في موضع الإضمار في قوله: { **وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِن أَلْفِ شَهْرٍ**}(١) حيث أُعيد اسم ليلة القدر الذي سبق قريبًا في قوله: { **فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**} على خلاف مقتضى الظاهر؛ لأنَّ مقتضى الظاهر الإضمار؛ للاهتمام بها والعناية بأمرها.

- تشابه الأطراف(٢) في قوله: { **وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ**

---

(١) القدر: ٢، ٣.

(٢) وهو: أن يعيد الشاعر لفظة القافية في أول البيت الذي يليها، فتكون الأطراف متشابهة. وسماه

مِن أَلْفِ شَهْرٍ}، حيث أُعيدت فاصلة الآية الثانية في أول الآية الثالثة.

- التعبير بالفعل المضارع في قوله: { **تَنَزَّلُ المَلَائِكَةُ** } إشارة إلى أنَّ تنزل الملائكة متكرر ومستمر في المستقبل.

- التعبير بالتنزل الذي يقتضي المرّة بعد المرّة دون النزول في قوله: { **تَنَزَّلُ** } إشارة إلى أنَّهم ينزلون طائفةً بعد طائفةٍ، وفوجًا بعد فوجٍ.

- ذكر الخاص بعد العام في قوله: { **تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ** } حيث عطف {**الروح** } الذي هو جبريل – عليه السلام - مع دخوله في الملائكة؛ إظهارًا لشرفه وجلالة قدره.

- تنوين أمر في قوله: { **مِن كُلِّ أَمْرٍ** }؛ للتعظيم.

- الإخبار بالمصدر في قوله: { **سَلَامٌ هِيَ** } للمبالغة، حيث جعل الليلة عين السلام مبالغةً في اشتمالها على السَّلامة على حد قولهم: زيد عدل.

- تقديم المسند إليه (الخبر) على المسند (المبتدأ) في قوله: { **سَلَامٌ هِيَ** }؛

قوم: التسبيغ بالسين المهملة، والغين المعجمة، والتسمية الأولى أولى، ويكون ذلك في النثر – أيضًا- بأن يعيد الناثر سجعة القرينة الأولى في أول القرينة التي تليها. ووقع ذلك في القرآن في قوله – تعالى-: {وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الروم: ٦، ٧] فأعاد فاصلة الآية الأولى في أول الآية الثانية. ووقع في غير الفواصل – أيضًا- في قوله – تعالى-: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ} [النور: ٣٥]. ومثاله في الشعر قول ليلى الأخيلية:

إذَا نَزَلَ الْحَجَّـــــاجُ أَرْضًا مَرِيضَةً *** تَتَبَّعَ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا

شَفَـــاهَا مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ الّذِي بها *** غُلاَمٌ إذَا هَزَّ الْقَنَاة سَقَاهَا

سَقَـاهَا فَرَوَّاهَا بِشِرْبٍ سِجَـالُـهُ *** دِمَـاءُ رِجَـالٍ يَحْلُبُونَ صَرَاهَا.

يُنظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الأصبع (ص: ٥٢٠)، وبديع القرآن(٢٢٩/٢، ٢٣٠)، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (١٨١/٧).

لإفادة الاختصاص والحصر مثل قولهم: تميميٌ أنا؛ أي: ما هي إلا سلامة.

- تنكير سلام في قوله: { **سَلَامٌ هِيَ** }؛ للتعظيم، أي: سلامٌ عظيمٌ.

- الاحتراس(١) بقوله: { **سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**} [القدر: ٥] حيث إنَّ الجملة الشريفة بيانٌ لمضمون قوله: { **مِن كُلِّ أَمْرٍ**}؛ لأنَّ تنزل الملائكة يكون للخير ويكون للشر لعقاب مكذبي الرسل، قال تعالى: { **مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ** }(٢)، وقال: { **يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا** }(٣)، وجمع بين إنزالهم للخير والشر في قوله: { **إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ**

---

(١) ويسمى التكميل – أيضًا – وهو: أن يُؤتى في كلام يُوهم خلاف المقصود بما يدفعه، وهو ضربان: ضرب يتوسط الكلام؛ كقول طرفة بن العبد من بحر الكامل:

فسقى ديارِكِ-غير مفسدها **** صوب الربيع وديمة تَهْمِي

فلمَّا كان نزول المطر قد يؤول إلى خراب الديار وفسادها أتي بقوله: "غير مفسدها" نفعًا لذلك. فالاحتراس هنا في وسط الكلام بين الفعل وفاعله، وقوله: "ديارك" بفتح الكاف لأنه يخاطب به ممدوحه.

وضرب يقع في آخر الكلام، كقوله – تعالى-: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} [المائدة: ٥٤] فإنَّه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين لتُوهم أنَّ ذلتهم لضعفهم، فلمَّا قيل: {أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} علم أنَّها منهم تواضع لهم؛ ولذا عُدِّي الذل بـعلى لتضمينه معنى العطف، كأنَّه قيل: عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع، ويجوز أن تكون التعدية بـعلى؛ لأنَّ المعنى أنَّهم- مع شرفهم وعلوّ طبقتهم وفضلهم على المؤمنين- خافضون لهم أجنحتهم . يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني (٢١٠/٣، ٢١١)، وعروس الأفراح للسبكي (٦١٣/١). والبيت لطرفة بن العبد. يُنظر: في ديوانه (ص: ٨٨). ومعنى تهمي: تسيل. صوب الربيع: مطره. الديمة: المطر المسترسل.

(٢) الحجر: ٨.

(٣) الفرقان:٢٢.

الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ }(١)، فأخبر هنا أن تنزل الملائكة ليلة القدر لتنفيذ أمر الخير للمسلمين الذين صاموا رمضان وقاموا ليلة القدر، فهذه بشارة.

- السجع المرصَّع(٢): وهو توافق الفواصل مراعاة لرؤوس الآيات في قوله: {**الْقَدْرِ**}، {**شَهْرٍ**}، {**أَمْرٍ**}، {**الْفَجْرِ**}؛ وهو من المحسنات البديعية اللفظية(٣).

ثالثًا: مسائل التفسير:

قوله تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}.

في هذه الآية الكريمة يخبر الله – تعالى- أنَّه بدأ إنزال القرآن العظيم في ليلة القدر.

سرُّ الافتتاح بالجملة الخبرية المؤكَّدة بـــ(إنَّ):

افتتحت السُّورة المباركة بالجملة الخبرية المؤكَّدة بـــ(إنَّ) والمُخبَرِ عنها بالجملة الفعلية { **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**}، وكلاهما من طرق التأكيد والتقوي؛ للرَّدِّ على المشركين المنكرين والشَّاكِّين في أن يكون القرآن من عند الله - تعالى.

فإن قلتَ: المؤمنون يُصدِّقون خبر الله بلا توكيد، والكافرون يُعاندون ولو

---

(١) الأنفال:١٢.

(٢) وهو: عبارة عن مقابلة كل لفظة من صدر البيت، أو فقرة النثر، أو فاصلة الآية بلفظة على وزنها ورويها، وهو مأخوذ من مقابلة ترصيع العقد، ومن أمثلته الشريفة في الكتاب العزيز قوله – تعالى-: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} [الانفطار:١٣، ١٤]، ومثله قوله – تعالى-: {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} [الغاشية: ٢٥، ٢٦]. يُنظر: التبيان في البيان للإمام الطيبي (ص:٢٩٩)، وخزانة الأدب وغاية الأرب للحموي (٤٠٩/٢).

(٣) أفدت في استخراج هذه الأسرار البلاغيَّة من: الكشاف (٧٨٠/٤)، وإرشاد العقل السليم (١٨٢/٩، ١٨٣)، وروح المعاني (٤١٥/١٥ – ٤٢٠)، والتحرير والتنوير(٤٥٦/٣٠ – ٤٦٦)، وحدائق الروح والريحان (١٩٨/٣٢- ٢٠٠).

تعددت أساليب التوكيد، فما فائدة التوكيد إذن؟ الجواب: أنَّ عادتهم الانقياد للتأكيدات فربما حصل لهم هدايةٌ بسبب ذلك على أنَّ فائدة التأكيد لا تنحصر في الرَّدِّ فقط بل قد تكون لغير ذلك، كالترغيب في تلقي الخبر، والتنبيه بعظيم شرفه، وعلوِّ قدره(١).

المراد بالضمير المتَّصل في قوله: { إنَّا}، وقوله: { أَنْزَلْنَاهُ}:

الضميران المتَّصلان في قوله: { **إنَّا**}، وقوله: { **أَنْزَلْنَاهُ**} يعودان إلى الله - جلَّ جلاله- والمراد بهما هنا التعظيم قطعًا؛ لأمرين:

أولهما: استحالة إرادة معنى الجمع؛ لثبوت وحدانية الله - تعالى - بالدلائل القاطعة والبراهين الساطعة.

قال الإمام الرازي - طيَّب الله ثراه -:" واعلم أنَّ قوله: { **إنَّا**} يراد به التعظيم، وحمله على الجمع محال؛ لأنَّ الدَّلائل دلَّت على وحدة الصانع، ولأنَّه لو كان في الآلهة كثرةٌ لانحطت رتبة كلِّ واحدٍ منهم عن الإلهية؛ لأنَّه لو كان كلُّ واحدٍ منهم قادرًا على الكمال لاستغنى بكلِّ واحدٍ منهم عن كلِّ واحدٍ منهم، وكونه مستغنىً عنه نقصٌ في حقه فيكون الكلُّ ناقصًا، وإن لم يكن كلُّ واحدٍ منهم قادرًا على الكمال كان ناقصًا، فعلمنا أنَّ قوله: { **إنَّا**} محمولٌ على التعظيم لا على الجمع".أهـ(٢).

ثانيهما: التصريح في قوله - تعالى-: { **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ**}(٣)، والمراد بأحسن الحديث - كما لا يخفى- القرآن الكريم، فدل

---

(١) يُنظر: انشراح الصَّدر في بيان ليلة القدر للعلامة/شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد السنباوي (ص: ١١).

(٢) مفاتيح الغيب (٢٢٨/٣٢).

(٣) الزمر: ٢٣.

على

أنَّ المراد بالضمائر في نحو قوله: { **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ** }، وقوله: { **كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ**}(١) تعظيم الله - تعالى-؛ لِما علمتَ من أنَّ القرآن يُفسِّر بعضه بعضًا.

هذا، وإنَّ الناظر في آيات القرآن المجيد يجد ربَّنا - سبحانه - يتحدث عن ذاته الأقدس تارةً بضمير العظمة باعتبار صفته؛ لأنَّه العظيم الذي لا شيء أعظم منه، كما هنا، وكقوله: { **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**}(٢)، وقوله: { **إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ**}(٣)، وقوله: { **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**}(٤)، وقوله: { **إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ**}(٥)، وقوله: { **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**}(٦)، ونحو ذلك من الآيات كثير.

وتارةً يتحدث عن نفسه بضمير الإفراد باعتبار وحدانيته، كما في قوله - سبحانه-: {**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**}(٧)، وَقَوْلُهُ: { **إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**}(٨)، وقوله: { **إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**}(٩)، وَقَوْلُهُ: { **إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ**}(١).

---

(١) ص: ٢٩.
(٢) الحجر:٩.
(٣) النساء:١٠٥.
(٤) الكوثر:١.
(٥) ق:٤٣.
(٦) القمر:٤٩.
(٧) البقرة:٣٠.
(٨) البقرة:٣٠.
(٩) طه: ١٤.

ويُلاحظ في مواضع الإفراد: أنَّها - أيضًا- واردة في مقامات التعظيم والإجلال، كمقام خلق البشر من طين، ولا يقدر عليه إلا الله، ومقام علم ما لا تعلمه الملائكة، ومقام استحقاقه للعبادة، وهذا كلُّه لا يكون إلا لله -جلَّ وتقدس-، فسواء جيء بصيغ الجمع أو الإفراد، فالمراد بها كلِّها تعظيم ربِّنا - سبحانه - تارةً بنصها وأصل وضعها كما في صيغ الجمع، وتارةً بقرينة السِّياق كما في صيغ الإفراد، والله أعلى وأعلم(٢).

المراد بالضمير المنصوب في قوله: { أنزلناه}:

جمهور المفسِّرين على أنَّ الضمير المنصوب في قوله- تعالى-: { **أَنْزَلْنَاهُ**} يعود إلى القرآن الكريم، أي: أنزلنا القرآن في ليلة القدر.

وفي التعبير عن القرآن بضمير الغائب مع عدم تقدم ذكره تنويهٌ بشأنه، وتعظيمٌ لقدره، وإيذانٌ بشهرة أمره، حتى كأنَّه لا يغيب ولا يحتاج للتصريح به، لحضوره في ذهن كلِّ أحدٍ. قال العلامة ابن عاشور - رحمه الله -: " وفي الإتيان بضمير القرآن دون الاسم الظاهر إيماءٌ إلى أنَّه حاضرٌ في أذهان المسلمين؛ لشدة إقبالهم عليه، فكون الضمير دون سبق معادٍ إيماء إلى شهرته بينهم". أهـ(٣).

إذا علمتَ هذا فلا تلتفت إلى قول مَنْ قال: إنَّ الضمير في: { **أَنْزَلْنَاهُ**} لجبريل - عليه السَّلام -؛ لأنَّ المشهور أنَّ الرُّوحَ في قوله - تعالى -: { **تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا**} هو جبريل - عليه السَّلام-، فكون الضمير في: { **أَنْزَلْنَاهُ**} لغيره أولى وأحسن وأليق بجزالة النظم الشريف؛ ولعلَّه لهذا السبب - والله أعلم -

---

(١) ص: ٧١.

(٢) أفدته من تتمة أضواء البيان للشيخ عطية محمد سالم (٣٠/٩، ٣١) بتصرفٍ كبير.

(٣) التحرير والتنوير (٤٥٦/٣٠).

ضعَّفه الشَّهاب الخفاجي- طيَّب الله ثراه - في حواشيه على القاضي البيضاوي حيث قال: " قوله: (الضمير) يعني به الهاء في قوله: **{أَنْزَلْنَاهُ}** وهو ضمير أُريد به القرآن هنا بالاتفاق كما قاله الإمام (١)، وكأنَّه لم يعتد بقول مَنْ قال: إنَّه لجبريل - عليه الصَّلاة والسَّلام- أو غيره؛ لضعفه، فلا يرد عليه نقضًا". أهـ(٢).

معنى نزول القرآن:

سبق أن عرفت أنَّ النزول في استعمال اللغة يطلق على معنيين، أولهما: انحدار الشيء من علو إلى سفل، ثانيهما: الحلول في مكان والأوي به.

ولا يخفى أنَّ كلا هذين المعنيين لا يليقان بنزول القرآن من الله على وجه الحقيقة؛ لأنَّهما يستلزمان المكانية والجسمية والحركة والانتقال، والقرآن ليس جسمًا حتى يتصف بالهبوط من أعلى إلى أسفل أو بالانتقال من مكان والحلول في آخر؛ لذلك كان وصف القرآن بالنزول أو الإنزال أو التنزيل لا يمكن أن يكون إلا بمعنى مجازي حيث كان المعنى الحقيقي بالنسبة إليه متعذرًا.

ومن الممكن أن يكون هذا المعنى المجازي لإنزال القرآن هو الإعلام في جميع إطلاقاته، والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي - حينئذٍ- هي اللزوم؛ لأنَّ إنزال شيءٍ إلى شيءٍ يستلزم إعلام مَنْ أُنزل إليه ذلك الشيء به إن كان عاقلًا، ويستلزم إعلام مَنْ يطلع عليه من الخلق به مطلقًا، وإذن فالمجاز مرسل.

---

(١) يريد الإمام الرازي- رحمه الله- حيث نقل إجماع المفسِّرين على كون الضمير للقرآن. يُنظر: مفاتيح الغيب (٢٢٨/٣٢).

(٢) حَاشِية الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي (٣٨١/٨)، ويُنظر معه: روح المعاني (٤١٢/١٥).

ويمكن أن يكون هذا المجاز من قبيل الاستعارة التصريحية الأصلية بأن يُشبَّه إعلام السيد لعبده بإنزال الشيء من علو إلى سفل، بجامع أنَّ في كلٍّ من طرفي التشبيه صدورًا من جانبٍ أعلى إلى جانبٍ أسفل، وإن كان العلو والسفل في وجه الشبه حسِّيًّا بالنسبة إلى المُشبَّه به، ومعنويًّا بالنسبة إلى المُشبَّه.

ويمكن أن يكون هذا المجاز مجازًا بالحذف بأن يُراد من إنزال القرآن ونزوله إنزال حامله ونزول حامله، وهو أمين الوحي جبريل - عليه السَّلام.

على أنَّ تأويل الإنزال بالإعلام - كما علمتَ - هو الأقرب والأوفق بالمقام، وذلك من وجوهٍ ثلاثةٍ:

أحدها: أنَّ تعلق الكلام تعلق دلالة وإفهام، ولا ريب أنَّ القرآن كلام، فتأويل إنزاله بالإعلام رجوعٌ إلى ما هو معلومٌ من تعلُّقه، ومفهومٌ من تحقُّقه.

ثانيها: أنَّ المقصود من ثبوت القرآن في اللوح، وفي سماء الدنيا، وفي قلب النبي - ﷺ- هو إعلام الخلق في العالمين - العلوي والسفلي- بما شاء الله دلالة البشر عليه من هذا الحق.

ثالثها: أنَّ تفسير الإنزال بالإعلام ينسجم مع القرآن بأيِّ إطلاقٍ من إطلاقاته، وعلى أيِّ تنزُّلٍ من تنزلاته(١).

فإن قيل: إذا كان المراد بالإنزال الإعلام في جميع إطلاقات القرآن، فما وجه اختيار التعبير بمادة الإنزال وما تصرف منها أو التقى معها إذن؟

والجواب: أنَّ وجه اختيار التعبير بمادة الإنزال وما تصرف منها أو التقى

---

(١) يُنظر: مناهل العرفان للشيخ الزرقاني (٤٣/١، ٤٤) (المبحث الثالث: نزول القرآن)، والبيان في مباحث من علوم القرآن للدكتور/عبد الوهاب غزلان (ص: ٦٥) بتصرفٍ وتلخيصٍ.

معها هو التنويه بشرف ذلك الكتاب نظرًا إلى ما تشير إليه هذه المادة من علو صاحب هذا الكتاب المنزل علوًا كبيرًا كما قال - تعالى-: { **حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ* وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ**}(١).

المراد بنزول القرآن في ليلة القدر:

ذكر المفسِّرون في معنى إنزال القرآن في ليلة القدر ثلاثة أقوالٍ(٢):

أولها: إنزال القرآن فيها جملةً واحدةً إلى بيت العزَّة في السَّماء الدنيا.

واستدل أصحاب هذا القول بأنَّ الإنزال في الآية الكريمة، وفي قوله: { **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**}(٣)، وقوله: {**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ**}(٤) جاء مسندًا إلى القرآن كلِّه، فاقتضى ذلك أن يكون هذا النزول المشار إليه في هذه الآيات غير النزول المنجَّم - المفرَّق - حسب الوقائع والأحداث، والذي استغرق سنين عديدة.

كما استدلوا بآثار موقوفةٍ على ابن عباس - رضي الله عنهما- حكم الإمام السيوطي عليها بالصِّحة(٥)، جاءت مُبيّنةً لمكان هذا النزول، وشاهدةً عليه،

---

(١) الزخرف: ١- ٣. ويُنظر: مناهل العرفان(٤٤/١) (المبحث الثالث: نزول القرآن).

(٢) تُنظر هذه الأقوال: المحرر الوجيز (٥٠٤/٥)، ومفاتيح الغيب (٢٢٨/٣٢، ٢٢٩)، وإرشاد العقل السليم (١٨٢/٩)، والبحر المحيط (٥١٣/١٠)، وروح المعاني (٤١٢/١٥، ٤١٣).

(٣) البقرة: ١٨٥.

(٤) الدخان: ٣.

(٥) قال السيوطي- طيَّب الله ثراه-: " وأخرج الْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُمَا مِنْ طَرِيقِ مَنْصُورٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ جُمْلَةً وَاحِدَةً إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَكَانَ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَكَانَ اللَّهُ يُنَزِّلُهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ- ﷺ- بَعْضُهُ فِي إِثْرِ بَعْضٍ. وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ- أَيْضًا- وَالنَّسَائِيُّ مِنْ طَرِيقِ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدَ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ في ليلةٍ واحدةٍ إلى السَّماء الدُّنْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ ثُمَّ أُنْزِلَ بَعْدَ ذَلِكَ بِعِشْرِينَ سَنَةً ثُمَّ قَرَأَ: {وَلا

وقالوا: إنَّ هذه الآثار وإن كانت موقوفةً على ابن عباس إلا أنَّ لها حكم المرفوع إلى النبي ﷺ؛ لأنَّ نزول القرآن إلى بيت العزَّة من أنباء الغيب التي ليس للرأي فيها مجال، والتي لا تُعرف إلا من المعصوم- ﷺ، وابن عباس لم يُعرف بالأخذ عن بني إسرائيل، وهذان هما شرطا إعطاء قول الصَّحابي حكم المرفوع إلى النبي- ﷺ، كما هو مقررٌ عند علماء الحديث.

ورجَّح هذا القول واختاره: الحافظ ابن حجر في فتح الباري، وقال: " هو الصَّحيح المعتمد". أهـ(١)، وحكى الإمام القرطبي الإجماع عليه(٢)، وقال عنه الإمام الزركشي في برهانه: " أشهر وأصح، وإليه ذهب الأكثرون". أهـ(٣)، وصحَّحه - كذلك -السُّيوطيُّ في إتقانه(٤)، وإليه ذهب الشيخ الزُّرقانيُّ في مناهله(٥)، والدكتور غزلان في بيانه(٦)، والشيخ أبو شهبة في المدخل(٧).

يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} [الفرقان: ٣٣]، {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا} [الإسراء: ١٠٦].

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَفِي آخِرِهِ: فَكَانَ الْمُشْرِكُونَ إِذَا أَحْدَثُوا شَيْئًا أَحْدَثَ اللَّهُ لَهُمْ جَوَابًا. وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ مِنْ طَرِيقِ حَسَّانِ بْنِ حُرَيْثٍ عَنْ سَعِيدِ ابْنُ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: فُصِلَ الْقُرْآنُ مِنَ الذِّكْرِ فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَجَعَلَ جِبْرِيلُ يَنْزِلُ بِهِ عَلَى النَّبِيِّ- ﷺ". ثم قال:" أَسَانِيدُهَا كُلُّهَا صَحِيحَةٌ". أهـ الإتقان في علوم القرآن (١٤٦/١، ١٤٧) (النَّوْعُ السَّادِسَ عَشَرَ: فِي كَيْفِيَّةِ إِنْزَالِهِ)، ويُنظر معه: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٥٦/١- ٤٥٨).

(١) فتح الباري (٤/١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٩٧/٢، ٢٩٨).

(٣) البرهان في علوم القرآن (٢٢٨/١) (النَّوْعُ الثَّانِي عَشَرَ: فِي كَيْفِيَّةِ إِنْزَالِهِ).

(٤) الإتقان في علوم القرآن (١٤٦/١) (النَّوْعُ السَّادِسَ عَشَرَ: فِي كَيْفِيَّةِ إِنْزَالِهِ).

(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن (٤٦/١) (المبحث الثالث: نزول القرآن).

(٦) البيان في مباحث من علوم القرآن (ص: ٦٧) وما بعدها.

(٧) المدخل إلى علوم القرآن (ص:٥٠).

ثانيها: ابتداء إنزاله فيها، أي: إنَّا ابتدأنا إنزال القرآن فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ثم نزل بعد ذلك منجمًا في أوقاتٍ مختلفةٍ من سائر الأزمان على النبي - ﷺ.

وقال أصحاب هذا القول: إنَّ المتبادر إلى الذِّهن من إسناد الإنزال في الآيات الثَّلاث أن يكون إلى بعض القرآن دون كلِّه؛ لأنَّ القرآن لم يكن قد أُنزل بتمامه وقت الإخبار بهذه الآيات، ولأنَّ لفظ القرآن كما يُطلق على كلِّه يُطلق - أيضًا- على بعضه بدليل قوله - تعالى -: { **وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**}(١)، وقوله: { **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**}(٢)، ولا يخفى أنَّ الاستماع والإنصات والاستعاذة يُطالب بها القارئ عند قراءة أيِّ قدرٍ من القرآن، ولم يقل أحدٌ بأنَّه مطالبٌ بها فقط عند قراءة القرآن بتمامه.

وقالوا عن الآثار الموقوفة على ابن عباس: هي - على فرض صحتها- أخبار آحاد لم تُرو إلا عن ابن عباسٍ وحده، ولم تُرو عن أحدٍ غيره مع توافر الدواعي على نقل مضمونها، وغاية ما يُفيده خبر الآحاد غلبة الظنّ، ومسألة نزول القرآن إلى بيت العزَّة في السَّماء الدُنيا من العقائد، والعقائد لا تثبت إلا بالدليل اليقيني القاطع، وهو ما لا يُوجد هنا.

ومن ثَمَّ، فليس للقرآن إلا نزولًا واحدًا هو النزول المنجَّم على النبي- ﷺ- في مدة ثلاثٍ وعشرين سنة تقريبًا، والمراد بنزول القرآن في ليلة القدر: ابتداء نزوله.

وممن ذهب إلى هذا القول: الإمام الشعبي، والأستاذ الإمام محمد عبده،

---

(١) الأعراف: ٢٠٤.

(٢) النحل: ٩٨.

وتلميذه النجيب السَّيد رشيد رضا، والشيخ جمال الدين القاسمي، وعلَّامة العصر الحديث الطَّاهر بن عاشور، والدكتور صبحي الصَّالح، وانتصر له، وأجاد وأفاد في بيانه ونقد القول القاضي بالنزول الجملي: شيخنا العلَّامة الدكتور إبراهيم خليفة- عليهم جميعًا سحائب الرحمة، وشآبيب المغفرة(١)، وإليه أميل، والله أعلم.

ثالثها: إنزال هذه السُّورة في شأن ليلة القدر وفي فضلها، ولمَّا كانت السُّورة من القرآن، جاء الضمير للقرآن تفخيمًا وتحسينًا، فليست ليلة القدر ظرفًا للنزول على هذا القول، وإنَّما المعنى: إنَّا أنزلنا قرآنًا يُتلى في فضل ليلة القدر، حكاه ابن جزي الكلبي بصيغة التمريض ثم قال: " وهذا ضعيف". أهـ(٢).

وهو كما قال؛ لأنَّ هذا القول وإن كان من حيث الأسلوب ممكنًا إلا أنَّ ما بعده يُغني عنه، فقد نزل في شأن ليلة القدر وبيان فضلها ومنزلتها قرآنٌ بالفعل، وهو قوله بعدها مباشرةً: **{ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ }** إلى آخر السُّورة.

وعليه، فيكون أول السُّورة في شأن إنزال القرآن وبيان ظرف إنزاله، وآخر السُّورة في شأن ليلة القدر وبيان فضلها ومنزلتها(٣).

ليلة القدر:

ليلة القدر: اسمٌ جعله الله لليلة التي بدأ فيها نزول القرآن على قلب حبيبه محمدٍ- ﷺ.

---

(١) يُنظر: تفسير المنار (١٣٠/٢)، ومحاسن التأويل (٢٤/٢)، والتحرير والتنوير (٤٥٦/٣٠)، ومباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصَّالح (ص: ٥٠، ٥١)، ومنة المنان في علوم القرآن لشيخنا العلامة إبراهيم خليفة (٣٥/٢) وما بعدها.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٤٩٩/٢).

(٣) يُنظر: تتمة أضواء البيان للشيخ/عطية محمد سالم (٣٣/٩).

سبب تسميتها بالقدر:

ذكر العلماء في سبب تسميتها بهذا الاسم أقوالًا:

أولها: أنَّ القدر بمعنى تقدير الأمور والأحكام، وليلة القدر تُقدَّر فيها الآجال والأرزاق وحوادث العالم كلُّها، وتُدفع إلى الملائكة لتمتثله، كما قال - سبحانه-: **{فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ}**(١)، قاله ابن عباس وعطاء وقتادة وغيرهم.

ثانيها: أنَّ القدر بمعنى الشرف والرفعة من قولهم: فلان ذو قدر، أي ذو شرف ومكانة، ولفلان قدر عند فلان، أي منزلة وشرف، فسميت ليلة القدر؛ لشرفها ومكانتها، ويدل عليه قوله: **{ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ}**(٢)، نُقل هذا عن الزهري، ويرجع ذلك الشرف وتلك المكانة إلى الفاعل فمَنْ أتى فيها بالطاعات صار ذا قدرٍ وشرفٍ، قال أبوبكر الورَّاق: سميت بذلك لأنَّها تكسب مَنْ أحياها قدرًا عظيمًا لم يكن له قبل، وترده عظيمًا عند الله - تعالى-.

ويرجع - كذلك - إلى الفعل فإنَّ الطاعات لها في تلك الليلة قدر زائد وشرف زائد.

وقيل: لأنَّه أُنزل فيها كتابٌ ذو قدرٍ، على رسولٍ ذي قدرٍ، لأمةٍ ذات قدرٍ.

وقيل: لأنه ينزل فيها ملائكة ذات قدر وخطر.

وقيل: لأنه تُقدَّر فيها الرحمة على المؤمنين.

ثالثها: أنَّ القدر بمعنى التضييق، ومنه قوله: **{ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ }**(٣)

---

(١) الدخان:٤.

(٢) القدر: ٣.

(٣) الطلاق: ٧.

أي: ضُيِّق، وقوله: {**وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ**}(١) أي ضَيَّق عليه، فسميت ليلة القدر؛ لأنَّ الملائكة ينزلون في تلك الليلة فتضيق بهم الأرض، قاله الخليل بن أحمد، ويشهد له قوله:{ **تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا**}(٢).

قلتُ: ولا مانع من الجمع بين هذه الأقوال جميعها؛ إذ لا تعارض بينها - كما ترى - فكلُّها متحققةٌ في ليلة القدر، ويشهد لها نصٌ قرآنيٌّ حكيم، والله أعلم.

اختلاف العلماء في تعيين ليلة القدر:

تعددت آراء العلماء في تعيين ليلة القدر، وتحديد وقتها إلى أقوال كثيرة، أوصلها الحافظ العراقي إلى سبعةٍ وعشرين قولًا(٣)، وبلغ بها الحافظ ابن حجر قرابة الخمسين قولًا(٤)، وأرى أنَّه لا حاجة إلى سرد هذه الأقوال وأدلتها هنا، فلم يبق كتابٌ من كتب التفسير وشروح الحديث إلا ذكرها، وسأكتفي بتلخيص هذه الأقوال فيما يلي، وعلى الله قصد السبيل:

أولًا: أقوالٌ مرفوضة كالقول بإنكارها في أصلها، والقول برفعها.

ثانيًا: أقوالٌ ضعيفة كالقول بأنَّها ليلة النصف من شعبان، والقول بأنَّها في أشهر العام كلِّه.

ثالثًا: أقوالٌ مرجوحة كالقول بأنَّها في شهر رمضان في غير العشر الأواخر منه.

---

(١) الفجر:١٦.

(٢) القدر: ٤. وتُنظر هذه الأقوال: زاد المسير (٤٦٩/٤)، ومفاتيح الغيب (٢٢٩/٣٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٣٠/٢٠، ١٣١)، والبحر المحيط (٥١٤/١٠)، وروح المعاني (٤١٤/١٥، ٤١٥).

(٣) يُنظر: شرح الصدر بذكر ليلة القدر ص: ٣٢ وما بعدها.

(٤) يُنظر: فتح الباري (٢٦٢/٤) وما بعدها.

رابعًا: قولٌ راجح وهو كونها تنتقل في ليال العشر الأواخر من رمضان، وأرجى ليال العشر أوتارها، وأرجى الأوتار ليلة السابع والعشرين(١).

الحكمة من إخفائها وعدم تعيينها:

أخفى الله - تعالى - هذه الليلة المباركة على عباده ولم يعينها لهم؛ ليجتهدوا في طلبها في تلك الليالِي الفاضلةِ بالصَّلاةِ والذكرِ والدعاءِ وتلاوة القرآن وغيرها، فيكثُر عملهم الصَّالح، فيزدادُوا قربةً من الله وثوابًا، بخلاف ما لو عُيِّنت ليلتها فإنَّهم سيقتصرون عليها ويتكلوا، ويُقصِّرون في غيرها، كما أخفاها - سبحانه - على عباده اختبارًا لهم وامتحانًا؛ ليتميَّز المجدُّ في طلبها، الحريص على إدراكها من الكسلان المتهاون في أمرها.

قال الإمام الرازي - عليه الرحمة-:

" أخفاها، كما أخفى سائر الأشياء، فإنَّه أخفى رضاه في الطاعات، حتى يرغبوا في الكلِّ، وأخفى غضبه في المعاصي ليحترزوا عن الكلِّ، وأخفى وليه فيما بين الناس حتى يعظموا الكلَّ، وأخفى الإجابة في الدعاء ليبالغوا في كلِّ الدعوات، وأخفى الاسم الأعظم ليعظموا كلَّ الأسماء، وأخفى الصلاة الوسطى ليحافظوا على الكلِّ، وأخفى قبول التوبة ليواظب المكلف على جميع أقسام التوبة، وأخفى وقت الموت ليخاف المكلف، فكذا أخفى هذه الليلة ليعظم العباد جميع ليالي رمضان، كما أخفى هذه الليلة حتى يجتهد المكلف في طلبها، فيكتسب ثواب الاجتهاد". أهـ(٢) بتصرفٍ، والله - تعالى - أعلم.

---

(١) تُنظر هذه الأقوال وأدلتها بالإضافة إلى المصدرين السابقين: الجامع لأحكام القرآن (١٣٤/٢٠-١٣٧)، وتفسير القرآن العظيم لا بن كثير(٤٢٨/٨- ٤٣٣)، وروح المعاني (٤١٣/١٥، ٤١٤).

(٢) مفاتيح الغيب (٢٢٩/٣٢)، ويُنظر: معالم التنزيل (٤٩٠/٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٣٤/٢٠- ١٣٧)، والبحر المحيط (٥١٤/١٠).

قوله تعالى: { وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ}

بعد ما أخبر الله – تعالى – في الآية السابقة أنَّ بدء نزول كتابه الكريم كان في ليلة القدر، أشار في هذه الآية إلى أنَّ تلك اللَّيلة الشَّريفة لا يعرف فضلها، ولا يعلم قدرها إلا هو - سبحانه.

والاستفهام في قوله: { **وَمَا أَدْرَاكَ** مَا **لَيْلَةُ الْقَدْرِ**} لتفخيم شأنها وتعظيم قدرها، وبيان مدى شرفها، وغاية فضلها، أي: وما الذي يُعلمك مبلغ شأنها، ونباهة أمرها، وعلوَّ قدرها؟ لا أحد يعلم ذلك إلا علَّام الغيوب(١).

فائدة:

قَالَ سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ- رحمه الله -: « مَا كَانَ فِي القُرْآنِ { **وَمَا أَدْرَاكَ**} فَقَدْ أَعْلَمَهُ، وَمَا قَالَ: {**وَمَا يُدْرِيكَ** } فَإِنَّهُ لَمْ يُعْلِمْهُ»(٢).

قلتُ: مراده - طيَّب الله ثراه - أنَّ فعل الدراية إن كان ماضيًا { **وَمَا أَدْرَاكَ**} فقد أخبر الله - عز وجل- نبيَّه - ﷺ- بجوابه، وأدراه به في نفس السِّياق، وقد ورد فعل الدراية ماضيًا { **وَمَا أَدْرَاكَ**} في عشرة مواضع، كلها في المفصَّل في قصار السُّور: الأول: قوله تعالى في سورة الحاقة: { **الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ**}(٣).

---

(١) يُنظر: مفاتيح الغيب (٢٣١/٣٢)، وإرشاد العقل السليم (١٨٢/٩).

(٢) ينظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله- ﷺ- وسننه وأيامه للإمام البخاري – كتاب فضل ليلة القدر- بَاب فَضْلِ لَيْلَةِ القَدْرِ (٤٥/٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٥٠٤/٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣١/٢٠) وعزاه للفرَّاء.

(٣) الحاقة:١- ٣. فإن قيل: أين الجواب هنا والبيان؟ يُقال: قوله- تعالى-:{كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ} [الحاقة: ٤] تفسيرٌ للحاقة وإعلامٌ بها؛ لأنَّها تفزع القلوب، وتقرع الأسماع، ولمَّا استمر التكذيب بها بُيِّنت بقوله: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ}[الحاقة: ١٣]. يُنظر: انشراح الصَّدر في بيان ليلة القدر للعلامة/شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد السنباوي (ص: ١٨)

الثاني: قوله تعالى في سورة المدَّثر: { **سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ**}(١).

الثالث: قوله في سورة المرسلات: { **لِيَوْمِ الْفَصْلِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ**}(٢).

الرابع والخامس: قوله في سورة الانفطار: { **وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ**}(٣).

السادس والسابع: قوله في سورة المطففين: { **وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ**}(٤)، { **وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ**}(٥).

الثامن: قوله في سورة البلد: { **فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ**}(٦).

التاسع: قوله في سورة القارعة: { **وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ**}(٧).

العاشر: قوله هنا في سورة القدر: { **وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ**}(٨). وفي كلِّ هذه المواضع قد أعلم الله نبيَّه - ﷺ - وأدراه بالجواب في نفس سياق الآيات.

أمَّا ورود فعل الدراية مضارعًا { **وَمَا يُدْرِيكَ** } فلم يقع بعده بيانٌ للجواب، وذلك في ثلاثة مواضع: الأول: قوله في سورة الأحزاب: { **وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ**

بتصرفٍ.

(١) المدثر:٢٦،٢٧.

(٢) المرسلات:١٣، ١٤.

(٣) الانفطار:١٧، ١٨.

(٤) المطففين:٨.

(٥) المطففين:١٩.

(٦) البلد:١١، ١٢.

(٧) القارعة:٣.

(٨) القدر:٢.

السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا}(١). الثاني: قوله في سورة الشورى: **{ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ}**(٢).

الثالث: قوله في سورة عبس: **{ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى}**(٣). ولم يخبر الله - تعالى - نبيَّه - ﷺ - ولم يعلمه في سياق أيِّ آيةٍ من هذه الآيات الثلاث بالجواب، فهذا هو مراد سفيان بن عُيينة - رحمه الله - والله أعلم.

قوله تعالى: { لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ}

بعد أنْ فخَّم الله شأن ليلة القدر وعظَّم قدرها، وبيَّن أنَّ فضلها لا يُحيط به إلا هو، ذكر لعباده فضلها من ثلاثة أوجهٍ:

الأول: أنَّها خيرٌ من ألفِ شهرٍ.

الثاني: تنزُّل الملائكة والرُّوح فيها.

الثالث: جعْلها سلامًا من بدايتها إلى نهايتها.

فقوله: **{ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ}** بيانٌ أول لشيءٍ من الإبهام الذي في قوله: **{وَما أَدْراكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ}**(٤)؛ ولذلك فُصل عنه ولم يُعطف عليه لأنَّه وقع منه موقع الاستئناف البياني، أو عطف البيان(٥).

ومعنى كونها خيرًا من ألف شهر: أنَّ العبادة والطَّاعة والعمل الصَّالح فيها خيرٌ من العبادة والعمل الصَّالح في ألف شهرٍ أي في ثلاثٍ وثمانين سنة وأربعة أشهرٍ ليس فيها ليلة القدر، ولا يعلم مقدار خيريَّتها منها إلّا هو - سبحانه وتعالى-

---

(١) الأحزاب:٦٣.

(٢) الشورى:١٧.

(٣) عبس:٣.

(٤) سورة الْقَدْرِ: ٢.

(٥) يُنظر: التحرير والتنوير (٤٥٩/٣٠).

وَهَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ(١).

وإنَّما قالوا: العبادة فيها خيرٌ من العبادة في ألف شهرٍ ليس فيها ليلة القدر؛ لأنَّه من المستحيل أن يُفضَّل الشيء على نفسه(٢).

فإن قيل: العبادة في ألف شهرٍ أشقُّ من العبادة في ليلةٍ واحدةٍ، وقد قَالَ -ﷺ- لعَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- فِي عُمْرَتِهَا: « إِنَّ لَكِ مِنَ الْأَجْرِ عَلَى قَدْرِ نَصَبِكِ وَنَفَقَتِكِ»"(٣)**، فكيف يُعقل استواؤهما فضلًا عن الخيريَّة والأفضليَّة؟**

والجواب من وجهين:

أولهما: أنَّ ذلك من فضل الله ورحمته بعباده؛ ليُرغبهم في الطَّاعة والعبادة، ويَجُرَّهم إليها جرًّا، فَتَارَةً يَجْعَلُ لهم ثَواب الطَّاعَةِ ضِعْفَيْنِ، وَمَرَّةً عَشْرًا، وَمَرَّةً سَبْعَمِائَةٍ، وَتَارَةً يُعظِّم أجرها، ويزيد في ثوابها بِحَسَبِ زمانها فيُفَضِّلُ شهر رَمَضَانَ عَلَى سَائِرِ الشُّهُورِ، وَيُفَضِّلُ يوم الْجُمُعَةَ عَلَى سَائِرِ الْأَيَّامِ، وَيُفَضِّلُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ عَلَى سَائِرِ اللَّيَالِي، وَتَارَةً يُعظِّم أجر الطَّاعَةِ بِحَسَبِ مكانها كصلاة ركعتين في المسجد الحرام، فإنَّهما أكثر ثوابًا، وأعظم أجرًا من صلاة ركعاتٍ في غيره من المساجد، ولله- تعالى- أن يخصَّ بعض الأزمنة والأمكنة والأشخاص بفضائل

---

(١) يُنظر: جامع البيان (٥٣٤/٢٤)، ومعالم التنزيل (٢٨٨/٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٣١/٢٠)، والبحر المحيط (٥١٤/١٠)، وروح المعاني(٤١٥/١٥).

(٢) يُنظر: مفاتيح الغيب (٢٣١/٣٢) بتصرفٍ.

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه في أول كتاب المناسك(٦٤٤/١) رقم (١٧٣٣)، وقال: " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَلَهُ شَاهِدٌ صَحِيحٌ". أهـ ووافقه الذهبي، وأخرجه بنحوه البخاري في أبواب العمرة- باب أجر العمرة على قدر النصب (٥/٣) رقم (١٧٨٧)، ومسلم في كتاب الحج- بَاب بَيَانِ وُجُوهِ الْإِحْرَامِ، وَأَنَّهُ يَجُوزُ إِفْرَادُ الْحَجِّ وَالتَّمَتُّعِ وَالْقِرَانِ، وَجَوَازِ إِدْخَالِ الْحَجِّ عَلَى الْعُمْرَةِ، وَمَتَى يَحِلُّ الْقَارِنُ مِنْ نُسُكِهِ (٨٧٦/٢) رقم (١٢١١).

متميزة(١).

ثانيهما: أنَّ قاعدة: (الأجر على قدر المشقة) - المستفادة من الحديث السابق ذكره- قاعدةٌ أغلبيَّةٌ وليست مطردة؛ فإنَّ العمل القليل قد يفضل الكثير باعتبار الزَّمان وباعتبار المكان وباعتبار كيفية الأداء؛ كالصَّلاة - مثلًا - إذا أُدِّيتْ في جماعةٍ فإنَّها تزيد في الأجر خمسًا وعشرين أو سبعًا وعشرين درجةً على أجر صلاةٍ مثلها أُديتْ على الانفراد(٢).

وقد أشار إلى ذلك سلطان العلماء: العزُّ بن عبد السَّلام، وذلك حيث يقول - عليه الرحمة -: " فَمِنْ الْأَعْمَالِ مَا يَكُونُ شَرِيفًا بِنَفْسِهِ وَفِيمَا رُتِّبَ عَلَيْهِ مِنْ جَلْبِ الْمَصَالِحِ وَدَرْءِ الْمَفَاسِدِ، فَيَكُونُ الْقَلِيلُ مِنْهُ أَفْضَلَ مِنْ الْكَثِيرِ مِنْ غَيْرِهِ، وَالْخَفِيفُ مِنْهُ أَفْضَلَ مِنْ الشَّاقِّ مِنْ غَيْرِهِ، وَلَا يَكُونُ الثَّوَابُ عَلَى قَدْرِ النَّصَبِ فِي مِثْلِ هَذَا الْبَابِ كَمَا ظَنَّ بَعْضُ الْجَهَلَةِ، بَلْ ثَوَابُهُ عَلَى قَدْرِ خَطَرِهِ فِي نَفْسِهِ، كَالْمَعَارِفِ الْعَلِيَّةِ وَالْأَحْوَالِ السَّنِيَّةِ وَالْكَلِمَاتِ الْمُرْضِيَةِ. فَرُبَّ عِبَادَةٍ خَفِيفَةٍ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَةٍ فِي الْمِيزَانِ وَعِبَادَةٍ ثَقِيلَةٍ عَلَى الْإِنْسَانِ خَفِيفَةٍ فِي الْمِيزَانِ بِدَلِيلِ أَنَّ التَّوْحِيدَ خَفِيفٌ عَلَى الْجَنَانِ وَاللِّسَانِ وَهُوَ أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَهُ الْإِنْسَانُ وَمَنَّ بِهِ الرَّحْمَنُ، وَالتَّفَوُّهُ بِهِ أَفْضَلُ كُلِّ كَلَامٍ، بِدَلِيلِ أَنَّهُ يُوجِبُ الْجِنَانَ وَيَدْرَأُ غَضَبَ الدَّيَّانِ، وَقَدْ صَرَّحَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِأَنَّهُ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ، لَمَّا « قِيلَ لَهُ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: إيمَانٌ بِاَللَّهِ »(٣)، وَجُعِلَ الْجِهَادُ دُونَهُ مَعَ أَنَّهُ أَشَقُّ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ مَعْرِفَةُ التَّوْحِيدِ أَفْضَلُ

---

(١) أفدتُ هذا الوجه من عبارة الإمام الرازي- عليه الرحمة- في مفاتيح الغيب (٢٣٢/٣٢) لكن بتصرفٍ كبيرٍ.

(٢) يُنظر: روح المعاني (٤١٥/١٥) بتصرفٍ.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الحج- بَاب فَضْلِ الحَجِّ المَبْرُورِ (١٣٣/٢) رقم (١٥١٩)، ومسلم في كتاب الإيمان- بَاب بَيَانِ كَوْنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ- تَعَالَى- أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ (٨٨/١) رقم (٨٣) عَنْ أَبِي

الْمَعَارِفِ، وَاعْتِقَادُهُ أَفْضَلُ الِاعْتِقَادَاتِ، مَعَ سُهُولَةِ ذَلِكَ وَخِفَّتِهِ مَعَ تَحَقُّقِهِ، وَقَدْ كَانَتْ قُرَّةُ عَيْنِ النَّبِيِّ - ﷺ - فِي الصَّلَاةِ، وَكَانَتْ شَاقَّةً عَلَى غَيْرِهِ، وَلَيْسَتْ صَلَاةُ غَيْرِهِ مَعَ مَشَقَّتِهَا مُسَاوِيَةً لِصَلَاتِهِ مَعَ خِفَّتِهَا وَقُرَّتِهَا، وَكَذَلِكَ إِعْطَاءُ الزَّكَاةِ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ أَفْضَلُ مِنْ إِعْطَائِهَا مَعَ الْبُخْلِ، وَمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ. وَكَذَلِكَ جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - الْمَاهِرَ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَجَعَلَ لِلَّذِي يَقْرَؤُهُ يُتَعْتِعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ أَجْرَيْنِ(١)....". أهـ(٢).

فإن قلتَ: ما سبب ارتقاء ليلة القدر إلى هذه الفضيلة والخيريَّة؟

يُقال لك: سبب ارتقائها إلى هذه الفضيلة والخيريَّة راجعٌ إلى فضل الله - تعالى - وجوده عَلَى عِبَادِهِ بما أودع لهم فيها من الخيرات والبركات وتقدير الأرزاق والمنافع الدينيَّة والدنيويَّة التي جاء ذكرها في السُّورة الكريمة من إنزال القرآن، وتنزُّل الملائكة الكرام يتقدَّمهم جبريل - عليه السَّلام-، وفصل كلِّ أَمرٍ حكيمٍ، وجعْلها سلامًا؛ ولذلك فإنَّ العبادة فيها أَكثر ثوابًا، وأَعظم فضلًا من العبادة في أَشهرٍ كثيرةٍ ليس فيها ليلة القدر(٣).

وفي المراد بالعدد (الألف) هنا قولان:

أولهما: أنَّ المراد حقيقة هذا العدد، والمعنى: أنَّ العمل في ليلة القدر خيرٌ من

هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ- ﷺ- أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: « إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ » قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: « جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: « حَجٌّ مَبْرُورٌ ».

(١) أخرجه مسلم في كتاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا- باب فَضْلِ الْمَاهِرِ فِي الْقُرْآنِ، وَالَّذِي يَتَتَعْتَعُ فِيهِ (٥٤٩/١) رقم (٧٩٨) عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ- ﷺ-: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ».

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعزّ بن عبد السَّلام(٣٤/١، ٣٥).

(٣) يُنظر: الكشاف للزمخشري (٧٨٠/٤)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (٥٣٧/٦) بتصرفٍ وزيادةٍ.

العمل في ثلاثٍ وثمانين سنة وبضعة أشهر. واستظهر هذا القول الشيخ أبو حيان - طيَّب الله ثراه - في تفسيره(١). وذكر المفسِّرون في تخصيص خيريَّتها على هذه المدة بالتحديد عدَّة رواياتٍ يأتيها الضعف من بين يديها ومن خلفها، وقد سبقت الإشارة إلى ثلاثةٍ منها مع بيان ضعفها وسقوطها عن درجة الاعتبار عند تحقيق القول فيما ورد في سبب نزول السُّورة الكريمة(٢).

ومن هذه الروايات أيضًا: مَا قِيلَ: إِنَّ الْعَابِدَ كَانَ فِيمَا مَضَى لَا يُسَمَّى عَابِدًا حَتَّى يَعْبُدَ اللَّهَ أَلْفَ شَهْرٍ- ثَلَاثًا وَثَمَانِينَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ- فَجَعَلَ اللَّهُ - تَعَالَى- لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ - ﷺ- عِبَادَةَ لَيْلَةٍ خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ كَانُوا يَعْبُدُونَهَا(٣).

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ: كَانَ مُلْكُ سُلَيْمَانَ خَمْسَمِائَةِ شَهْرٍ، وَمُلْكُ ذِي الْقَرْنَيْنِ خَمْسَمِائَةِ شَهْرٍ فَصَارَ مُلْكُهُمَا أَلْفَ شَهْرٍ، فَجَعَلَ اللَّهُ - تَعَالَى- الْعَمَلَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ لِمَنْ أَدْرَكَهَا خَيْرًا مِنْ مُلْكِهِمَا(٤).

وَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ: كَانَ رَجُلٌ مَلِكٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَعَلَ خَصْلَةً وَاحِدَةً،

---

(١) يُنظر: البحر المحيط (٥١٤/١٠).

(٢) ومجمل هذه الروايات الثلاث: الأولى: أنَّ الألف شهرٍ إشارةٌ إلى ملك بني أمية. الثانية: أنَّ الألف شهرٍ هي المدة التي لبس الإسرائيلي فيها السَّلاح مجاهدًا في سبيل الله. الثالثة: أنَّ الألف شهرٍ هي مدة عبادة الأربعة نفرٍ من بني إسرائيل: أَيُّوبَ وزكريا وحزقيل ابن الْعَجُوزِ وَيُوشَعَ بْنَ نُونٍ، عبدوا الله ثَمَانِينَ سَنَةً لَمْ يَعْصُوْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ. يُنظر: التمهيد ص: ١١- ١٦.

(٣) ذكره هكذا بصيغة التمريض: الثعلبي في الكشف والبيان (٢٥٧/١٠)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن(١٣١/٢٠، ١٣٢)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥١٤/١٠، ٥١٥)، والألوسي في روح المعاني(٤١٥/١٥).

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٥٧/١٠)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن(١٣١/٢٠، ١٣٢)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥١٤/١٠، ٥١٥)، والألوسي في روح المعاني (٤١٥/١٥) كلهم عن أبي بكر الورَّاق.

فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيِّ زَمَانِهِمْ: قُلْ لِفُلَانٍ يَتَمَنَّى. فَقَالَ: يَا رَبِّ أَتَمَنَّى أَنْ أُجَاهِدَ بِمَالِي وَوَلَدِي وَنَفْسِي، فَرَزَقَهُ اللَّهُ أَلْفَ وَلَدٍ، فَكَانَ يُجَهِّزُ الْوَلَدَ بِمَالِهِ فِي عَسْكَرٍ، وَيُخْرِجُهُ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيَقُومُ شَهْرًا وَيُقْتَلُ ذَلِكَ الْوَلَدُ، ثُمَّ يُجَهِّزُ آخَرَ فِي عَسْكَرٍ، فَكَانَ كُلُّ وَلَدٍ يُقْتَلُ فِي الشَّهْرِ، وَالْمَلِكُ مَعَ ذَلِكَ قَائِمُ اللَّيْلِ، صَائِمُ النَّهَارِ، فَقُتِلَ الْأَلْفُ وَلَدٍ فِي أَلْفِ شَهْرٍ، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَقَاتَلَ فَقُتِلَ. فَقَالَ النَّاسُ: لَا أَحَدَ يُدْرِكُ مَنْزِلَةَ هَذَا الْمَلِكِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - تَعَالَى-: **{ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ}** مِنْ شُهُورِ ذَلِكَ الْمَلِكِ، فِي الْقِيَامِ وَالصِّيَامِ وَالْجِهَادِ بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ وَالْأَوْلَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ(١).

قلتُ: مفاد هذه الأقوال الثلاثة يحتاج مثله إلى نقلٍ صحيحٍ مرفوعٍ إلى المعصوم - ﷺ-، وهو ما لا يُوجد هنا - كما ترى - بل يغلب على الظنّ أنَّ هذه الروايات مأخوذةٌ من الإسرائيليات، والله أعلم.

ومن هذه الروايات - كذلك- التي ذكرها بعض المفسّرين في سرّ تفضيل ليلة القدر على هذه المدة بالتحديد: ما ذكره مَالِكٌ فِي الْمُوَطَّأِ، قال: سمعت مَنْ أَثِقُ بِهِ مِن أَهْلِ العِلْمِ يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- أُرِيَ أَعْمَارَ الْأُمَمِ قَبْلَهُ، فَكَأَنَّهُ تَقَاصَرَ أَعْمَارَ أُمَّتِهِ أَلَّا يَبْلُغُوا مِنَ الْعَمَلِ مِثْلَ مَا بَلَغَ غَيْرُهُمْ فِي طُولِ الْعُمُرِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ - تَعَالَى- لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَجَعَلَهَا خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ(٢).

قال ابن عبد البَرّ - رحمه الله - في التمهيد: " لَا أَعْلَمُ هَذَا الْحَدِيثَ يُرْوَى مُسْنَدًا مِنْ وَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ وَلَا أَعْرِفُهُ فِي غَيْرِ الْمُوَطَّأِ مُرْسَلًا وَلَا مُسْنَدًا، وَهَذَا أَحَدُ الْأَحَادِيثِ الَّتِي انْفَرَدَ بِهَا مَالِكٌ وَلَكِنَّهَا رَغَائِبٌ وَفَضَائِلُ وَلَيْسَتْ أَحْكَامًا، وَلَا

---

(١) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن(٢٠/١٣١، ١٣٢).

(٢) الموطأ (رواية يحيى الليثي) (٢/٣٢١) رقم (٦٩٨).

بَنَى عَلَيْهَا فِي كِتَابِهِ وَلَا فِي مُوَطَّئِهِ حُكْمًا". أهـ(١).

وقال ابن الصَّلاح - عليه الرحمة -: " وَأَمَّا حَدِيثُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ" وذكره موصولًا ثم قال: " هذا غريب المتن جدًّا، وضعيف الإسناد جدًّا. وقد روى أبو عبد الله بن منده الحافظ في كتابه، عن أبيه: حديث مالك - رضي الله عنه-حديث الموطأ بلفظه, بإسناده، عن محمد بن المبارك الصوري، عن مالك، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، عن رسول الله - ﷺ-، وليس بمحفوظ، ولم يذكره الصوري محمد بن المبارك في كتابه الذي جمع فيه مسند حديثه عن مالك". أهـ(٢).

ثانيهما: أنَّ المراد من الألف هنا التكثير لا العدد المعين؛ لأنَّ العرب تذكر الألف في غاية الأشياء، فيكون المعنى: العمل في ليلة القدر خيرٌ من العمل في جميع الدَّهر الخالي من ليلة القدر، ونظيره قوله - تعالى-: { **يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ**}(٣)

يعني: جميع الدهر(٤). واستظهر هذا القول العلامة ابن عاشور - عليه الرحمة - حيث قال: "وَعَدَدُ الْأَلْفِ يَظْهَرُ أَنَّهُ مُسْتَعْمَلٌ فِي وَفْرَةِ التكثير كَقَوْلِه: « وَاحِد كَأَلْفٍ »، وَعَلَيْهِ جَاءَ قَوْلُهُ:-تَعَالَى-: { **يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ**}، وَإِنَّمَا جُعِلَ تَمْيِيزُ عَدَدِ الْكَثْرَةِ هُنَا بِالشَّهْرِ لِلرَّعْيِ عَلَى الْفَاصِلَةِ الَّتِي هِيَ بِحَرْفِ الرَّاءِ".أهـ(٥).

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٣٧٣/٢٤).

(٢) وصل بلاغات الموطأ (ص: ١٤).

(٣) سورة البقرة: ٩٦.

(٤) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣١/٢٠)، وروح المعاني (٤١٥/١٥، ٤١٦).

(٥) التحرير والتنوير (٤٥٩/٣٠).

قلتُ: وكلا القولَيْن محتملٌ، وإن كنتُ أميل إلى الثاني؛ لأنَّ المقام مقام بيان فضل ليلة القدر، وعلوّ شأنها، وتفخيم أمرها، وتعظيم قدرها، وأنت خبيرٌ بأنَّ تفضيل العمل الصَّالح فيها على العمل الصَّالح في جميع الدهر الخالي منها - أعني ليس فيه ليلة قدر- أنسب بالمقام، وأليق بالسِّياق، وأبلغ في تعظيمها من القول بتفضيلها على ثلاثٍ وثمانين سنة وأربعة أشهرٍ فقط.

أضف إلى ذلك ضعف الروايات التي ساقها المفسِّرون في تخصيص خيريَّتها على مدة ثلاثٍ وثمانين سنة وأربعة أشهرٍ، والله أعلم.

قوله تعالى: { تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ}:

هذه الآية الكريمة بيانٌ لفضيلةٍ ثانيةٍ من فضائل هذه اللَّيلة المباركة، أي: ومن فضائل هذه الليلة - أيضًا-، نزول الملائكة فيها إلى الأرض بأمر ربهم يتقدَّمهم الروح الأمين جبريل- عليه السَّلام-، من أجل كلِّ أمرٍ قدَّره الله وقضاه.

موقع الجملة الكريمة ممَّا قبلها وسرُّ فصلها عنها:

في بيان ذلك وتجليته يقول العلامة ابن عاشور - عليه الرحمة-: " واعلم أنَّ موقع قوله: { **تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا**} إلى قوله: { **مِنْ كُلِّ أَمْرٍ** }، من جملة: { **لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِن أَلْفِ شَهْرٍ**}(١) موقع الاستئناف البياني أو موقع بدل الاشتمال فلمراعاة هذا الموقع فُصلت الجملة عن التي قبلها ولم تعطف عليها مع أنَّهما مشتركتان في كون كلِّ واحدةٍ منهما تفيد بيانًا لجملة: {**وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ**}(٢)، فأُوثرت مراعاة موقعها الاستئنافي أو البدلي على مراعاة اشتراكهما

---

(١) القدر: ٣.

(٢) القدر:٢.

في كونها بيانًا لجملة: { **وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ**}؛ لأنَّ هذا البيان لا يفوت السَّامع عند إيرادها في صورة البيان أو البدل بخلاف ما لو عُطفت على التي قبلها بالواو لفوات الإشارة إلى أنَّ تنزُّل الملائكة فيها من أحوال خيريتها". أهـ(١).

حقيقة الملائكة:

الملائكة أجسامٌ لطيفة نورانية قادرة على التشكل بالصِّور الحسنة، دأبهم الطاعة ليلًا ونهارًا، يُسبحون اللَّيل والنَّهار لا يفتُرون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون، مسكن أغلبهم السَّماوات، لا يأكلون ولا يشربون، ولا يتناكحون، ولا يتناسلون، ولا ينامون، ولا يُوصفون بذكُورة ولا أُنوثة – مَن وصفهم بذكورة فسق، ومَنْ وصفهم بأُنوثة كفر؛ لمخالفته قول الله: { **وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ**}(٢)، وأولى بالكفر من وصفهم بالخنوثة؛ لمزيد التنقيص(٣)، منهم حملة الوحي، ومنهم الموكل بالجنة أو بالنار، ومنهم الموكل بالرِّياح والأمطار، ومنهم سدنة العرش، ومنهم من يقبض الأرواح.

نزول الملائكة ليلة القدر محلُّه وكيفيته وفوائده:

ظاهر قوله - سبحانه-: { **تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ**} يقتضي نزول كلِّ الملائكة؛ لأنَّ لفظ الملائكة جمعٌ محلى بأل فيفيد العموم.

والتعبير بالفعل المضارع في قوله: { **تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ**} مؤذنٌ بأنَّ هذا التنزُّل

---

(١) التحرير والتنوير (٤٦٤/٣٠).

(٢) الزخرف: ١٩.

(٣) يُنظر: حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد ص: ٢١٤ بتصرفٍ.

متكررٌ في المستقبل بعد نزول هذه السُّورة(١).

وفي محلِّ نزولهم قولان:

الأول: ينزلون إلى السَّماء الدنيا، وهو خلاف الظَّاهر.

الثاني: ينزلون إلى الأرض، وهو قول أكثر المفسِّرين، وهو الأصحُّ.

قال الإمام الفخر - طيَّب الله ثراه -: " وهو اختيار الأكثرين أنَّهم ينزلون إلى الأرض وهو الأوجه؛ لأنَّ الغرض هو الترغيب في إحياء هذه الليلة، ولأنَّه دلَّت الأحاديث على أنَّ الملائكة ينزلون في سائر الأيام إلى مجالس الذكر والدين، فلأن يحصل ذلك في هذه الليلة مع علوِّ شأنها أولى، ولأنَّ النزول المطلق لا يفيد إلا النزول من السَّماء إلى الأرض". أهـ(٢).

---

(١) يُنظر: التحرير والتنوير (٤٦١/٣٠).

(٢) مفاتيح الغيب (٢٣٣/٣٢)، ويُنظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥٣٩/٦، ٥٤٠).

كيفية نزولهم إلى الأرض وفوائده:

حاول بعض المفسِّرين بيان كيفية نزول الملائكة إلى الأرض في ليلة القدر مستنبطًا إياها من إشاراتٍ تدلُّ عليها ألفاظ الآية الكريمة، فقالوا: إنَّ الملائكة تنزل إلى الأرض في ليلة القدر تنزُّلًا متدرِّجًا متواصلًا خفيًّا على غاية ما يكون من الخفَّة والسُّرعة.

أمَّا تدرُّج النزول فيشير إليه التعبير بقوله - تعالى-: { **تَنَزَّلُ**} المفيد للتدريج دون (نزل) ممَّا يدلُّ على أنَّ الملائكة كلَّهم ينزلون إلى الأرض في ليلة القدر فوجًا فوجًا، أي: ينزل فوجٌ ويصعد فوجٌ؛ لأنَّ الأرض لا تسع الملائكة كلَّهم دفعةً واحدةً، كما أنَّ الكعبة المشرَّفة لا تسع الحُجَّاج دفعةً واحدةً؛ لذا يدخلونها فوجًا بعد فوجٍ، فهم بين داخلٍ وخارجٍ(١).

وأمَّا خفاء النزول وخفَّته وسُّرعته فيشير إليه حذف التَّاء من قوله - تعالى-: {**تَنَزَّلُ**} فإنَّ أصله: (تتنزَّل)، فحذفت التَّاء وأُسقطت؛ للإشارة إلى أنَّ تنزُّل الملائكة على غاية ما يكون من الخفاء والخفَّة والسُّرعة(٢).

كما حاول بعض المفسِّرين - كذلك - بيان فوائد ذلك التنزل وأسراره:

فقالوا تنزل الملائكة إلى الأرض في ليلة القدر لفوائد:

أولها: ليروا عبادة البشر وجدَّهم واجتهادهم في الطَّاعة.

ثانيها: ينزلون للتسليم على المؤمنين.

ثالثها: لعلَّ للطَّاعة في الأرض خاصية في هذه اللَّيلة، فالملائكة - أيضًا-

---

(١) المصدران السَّابقان، وروح المعاني (٤١٨/١٥).

(٢) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٨٠/٢٢)، والسِّراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربِّنا الحكيم الخبير(٥٦٨/٤).

ينزلون لطلبها طمعًا في مزيد الثَّواب، كما أنَّ الرجل يذهب إلى مكة لتصير طاعاته هناك أكثر ثوابًا.

رابعها: أنَّهم يرون في الأرض من أنواع الطَّاعات ما لم يروها في سكان السَّماوات، كمجيء الأغنياء بالطعام من بيوتهم فيجعلونه ضيافة للفقراء، والفقراء يأكلون طعام الأغنياء ويعبدون الله، وهذا نوع من الطَّاعة لا يوجد في السَّماوات، وكذلك يسمعون أنين العصاة الذي هو أحب إلى الله من زجل المسبحين فيقولون: تعالوا نسمع صوتًا هو أحب إلى ربّنا من تسبيحنا.

خامسها: أنَّ الإنسان يأتي بالطَّاعات والخيرات عند حضور الأكابر من العلماء والزُّهاد أحسن ممِّا يكون في الخلوة، والطَّاعة في حضور الملائكة الذين هم العلماء بالله والعُبَّاد له تكون أدخل في الإخلاص وأجلب لأسباب القبول(١).

قلتُ: الأولى والأسلم أن نفوّض علم كيفية نزول الملائكة إلى الأرض في ليلة القدر وأسبابه إلى الله اللَّطيف الخبير مع الإيمان التامِّ به دون محاولة الكشف عن تفاصيله وأسراره ودقائقه؛ لأنَّ أمثال هذه الأمور لا يمكن الوقوف على معرفتها إلا بخبرٍ صحيحٍ صريحٍ مرفوعٍ إلى المعصوم - ﷺ-، ولأنَّه لو كان في معرفة تفاصيلها كبير فائدةٍ لذكرها القرآن، وما أبهمها، ومن ثمَّ فإنِّي أستحسن ما قرَّره الشيخ أحمد مصطفى المراغي - رحمه الله -عند تفسير هذه الآية حيث قال: "ونزول الملائكة إلى الأرض شأن من شئونه - تعالى-، لا نبحث عن كيفيته، فنحن نؤمن به دون أن نحاول معرفة تفاصيله وأسراره، فما عرف العالم بعد علمه المادي بشتى وسائله إلا النزر اليسير من الأكوان كما

---

(١) تنظر هذه الأقوال في: مفاتيح الغيب (٢٣٣/٣٢، ٢٣٥)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥٣٩/٦، ٥٤٠)، وروح المعاني (٤١٨/١٥).

قال - تعالى-: { **وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**}(١)".أهـ(٢).

المراد بالرُّوح في الآية الكريمة:

ذكر المفسِّرون في المراد بالرُّوح في الآية الكريمة أقوالًا:

أولها: أنَّه جبريل عليه السَّلام.

ثانيها: ملك عظيم من أعظم الملائكة خلقًا، لو التقم السماوات والأرض كان ذلك له لقمة واحدة، قاله الواقدي.

ثالثها: طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلّا تلك الليلة كالزُّهاد الذين لا نراهم إلّا يوم العيد أو الجمعة، قاله كعب ومقاتل بن حيَّان.

رابعها: حفظة على الملائكة كالملائكة الحفظة علينا.

خامسها: خلق من خلق الله يأكلون ويلبسون ليسوا من الملائكة، ولا من الإنس، ولعلهم خدم أهل الجنة.

سادسها: عيسى - عليه السَّلام- ينزل لمطالعة هذه الأمة وليزور النبي - ﷺ.

سابعها: أرواح المؤمنين ينزلون لزيارة أهليهم.

ثامنها: القرآن، دليله: { **وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنا**}(٣).

تاسعها: الرحمة، دليله: { **يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ**}(٤).

والأصحُّ الأشهر من هذه الأقوال، وهو ما عليه جمهور المفسِّرين أنَّ الرُّوح هاهنا جبريل - عليه السَّلام-، وخُصَّ بالذِّكر مع أنَّه داخلٌ في عموم الملائكة؛

---

(١) الإسراء: ٨٥.

(٢) تفسير المراغي (٢٠٩/٣٠، ٢١٠).

(٣) الشورى: ٥٢.

(٤) النحل: ٢.

لزيادة شرفه، وعلوِّ قدره كأنَّه - تعالى- يقول الملائكة في كفَّة وجبريل في كفَّة، وقد سبق بيانه في اللَّطائف البيانيَّة للسُّورة(١).

مرجع الضمير في قوله: { فِيهَا}:

في مرجع الضَّمير في قوله: { فِيهَا} ثلاثة أقوالٍ:

الأول: وهو الأشهر والأظهر والأنسب بالمقام والأليق بالسِّياق أن يكون لليلة القدر، والمعنى: تنزَّل الملائكةُ والرُّوحُ في ليلة القدر.

الثاني: أن يكون لألف شهرٍ، وجملة { **تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا**} صفة لألف شهرٍ، ولا يخفى بُعده جدًّا.

الثالث: أن يعود على الملائكة، وجملة { **والرُّوحُ فِيهَا** } جملة اسمية في موضع الحال من فاعل{ تَنَزَّلُ} وهو الْمَلائِكَة على أنَّ { الرُّوح } مبتدأ و{ فِيها} خبره لا متعلق بـ { تَنَزَّلُ}، والمعنى: تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ حال كون الرُّوح فيها، وهو خلاف الظَّاهر(٢).

نوع الباء في قوله: { بِإِذْنِ }:

قوله: { **بِإِذْنِ رَبِّهِم**} إمَّا متعلقٌ بـــ { تَنَزَّلُ}، وعليه يصحُّ أن تكون الباء بمعنى السَّببيَّة، أي: يتنزلون بسبب إذن ربهم لهم في النزول، فالإذن بمعنى المصدر.

ويصحُّ - كذلك - أن تكون بمعنى المصاحبة، أي: يتنزلون مصاحبين لِمَا أذن به ربهم، فالإذن بمعنى المأذون به من إطلاق المصدر على المفعول نحو قوله -

---

(١) تُنظر هذه الأقوال والرَّاجح منها في: الكشف والبيان (٢٥٧/١٠، ٢٥٨)، وزاد المسير (٤٧٣/٤)، ومفاتيح الغيب (٢٣٤/٣٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٣٣/٢٠)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥٣٩/٦، ٥٤٠)، وروح المعاني (٤١٨/١٥).

(٢) يُنظر: روح البيان (٤٨٤/١٠)، وروح المعاني (٤١٧/١٥).

تعالى-: { **هَذَا خَلْقُ اللهِ** }(١).

وإمَّا متعلقٌ بـــــمحذوفٍ هو حال من فاعل {تَنَزَّلُ }، وهو {الْمَلَائِكَةُ}؛ أي: ملتبسين بإذن ربِّهم، أي بأمره، وتقييد التنزُّل بذلك؛ لتعظيم أمر تنزلهم(٢).

مرجع الضمير في قوله: { ربِّهِم} وسرُّ إضافته إلى لفظ الربوبية:

والضَّمير في قوله: { **رَبِّهِمْ**} للملائكة، وإضافتهم إلى لفظ الربوبيَّة؛ للتشريف والتعظيم، وفيه تعريضٌ بالعصاة وتحقيرهم، فمَنْ عبد الله وأطاعه فله الشَّرف والفضل والتعظيم والعزُّ والرِّفعة والقرب من مولاه، ومَنْ عصى الله استحقَّ الذُّلَّ والصَّغار والمهانة والطَّرد من الرَّحمة.

قال الإمام الرازي - عليه الرحمة -: " قوله: { **رَبِّهِمْ**} يفيد تعظيمًا للملائكة وتحقيرًا للعصاة، كأنَّه - تعالى- قال: كانوا لي فكنتُ لهم". أهـ(٣).

معنى { مِن} في قوله: { مِنْ كُلِّ أَمْرٍ}:

في معنى { **مِن**} في قوله: { **مِنْ كُلِّ أَمْرٍ**} أربعة أقوالٍ:

أولها: أنَّها بمعنى اللَّام التعليلية متعلقة بـــــ{ تَنَزَّلُ}، أي: تنزل الملائكة من أجل كلِّ أمرٍ قضاه الله وقدَّره في تلك السَّنة إلى قابلٍ.

ثانيها: أنَّها بمعنى الباء، أي: تنزل الملائكة بكلِّ أمرٍ، فهي للتعدية، كما في قوله - تعالى-: {**يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**}(٤) أي بأمر الله، هذا إذا جعلت الباء في قوله: {**بِإِذْنِ رَبِهِم**} سببية(٥).

---

(١) لقمان: ١١. ويُنظر: التحرير والتنوير (٤٦٣/٣٠).

(٢) يُنظر: روح المعاني (٤١٩/١٥).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٣٥/٣٢)، ويُنظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥٣٩/٦، ٥٤٠).

٤))الرعد: ١١.

(٥) يُنظر: الدر المصون (٦٣/١١، ٦٤)، وروح المعاني (٤١٩/١٥)، والتحرير والتنوير

ثالثها: أنَّها بيانيَّة تبين الإذن من قوله: { **بِإِذْنِ رَبِهِم** }، أي بإذن ربهم الذي هو في كلِّ أمرٍ(١).

رابعها: أنَّها للملابسة، والمراد بملابستهم له ملابستهم للأمر به فكأنَّه قيل: تنزَّل الملائكة وهم مأمورون بكلِّ أمرٍ يكون في السَّنة، **وضُعِّف** بأنَّ المراد حينئذٍ بالملائكة المدبرات فقط؛ إذ غيرهم لا تعلق له في الأمور التي تعلق بها التقدير ليتنزلوا لأجلها(٢)، وهو خلاف الظَّاهر؛ لما علمتَ أنَّ قوله: { **تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ**} يقتضي نزول كلِّ الملائكة؛ لأنَّ لفظ الملائكة جمعٌ محلى بأل فيفيد العموم، واختصاصهم بالمدبرات فقط تخصيص بغير مُخصِّص، فتدبر.

والقول الأول - أعني أنَّها بمعنى التعليل- عليه أكثر المفسِّرين، قال العلامة نظام الدين النيسابوري- طيَّب الله ثراه -: " وقوله: { **مِنْ كُلِّ أَمْرٍ**} إشارةٌ عند الأكثرين إلى فائدة نزولهم أي: من أجل كلِّ أمرٍ قُدِّر في تلك اللَّيلة إلى قابل. ومعنى العدول من لام التعليل إلى «من» أنَّ السَّائل كأنَّه يقول: من أين جئتم؟ فيقولون: ما لكم وهذا السؤال ولكن قولوا: لأي أمرٍ جئتم لأنَّه حظكم". أهـ(٣).

فإن قلتَ: المقدَّرات لا تحدث في تلك اللَّيلة بل في تمام السَّنة، فلماذا تنزل الملائكة- عليهم السَّلام- فيها لأجل تلك الأمور؟

يُقال لك: ليس المراد أنَّ تقدير الله لا يحدث إلا في تلك اللَّيلة بل المراد إظهار تلك المقادير للملائكة في تلك اللَّيلة بأن يكتب لهم ما قدَّره في تلك السَّنة ويعرِّفهم

(٤٦٤/٣٠).

(١) يُنظر: التحرير والتنوير (٤٦٤/٣٠).

(٢) يُنظر: روح المعاني (٤١٩/١٥، ٤٢٠).

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥٤٠/٦).

إياه، وتنزُّلهم فيها إنَّما يكون لتعيين إنفاذ تلك الأمور لهم(١)، والله أعلم.

المراد بالأمر في الآية الكريمة:

فإن قلتَ: سبق في المباحث العربية أنَّ الأمر قد يكون واحد الأمور أو واحد الأوامر، فما المراد به في الآية الكريمة؟

يُقال لك: " الذي يظهر أنَّه شاملٌ لهما معًا; لأنَّ الأمر من الأمور لا يكون إلا بأمرٍ من الأوامر، كما قال- تعالى-: { **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**}(٢). ويشهد له ما جاء في شأنها في سورة الدخان: { **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا**}(٣).

والذي يفرق من الأمر، هو أحد الأمور، حيث يفصل بين الخير والشر والضر والنفع إلى آخره، ثم قال: { **أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا**}، كما أشار إليه السِّياق: { **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ**}(٤)، فكل أمر من الأمور يقتضي أمرًا من الأوامر، وهذا يمكن أن يكون من الألفاظ المشتركة المستعملة في معنيْهما، والله- تعالى- أعلم". أهـ(٥).

قوله تعالى: { سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}.

هذه الآية الكريمة بيانٌ لفضيلةٍ ثالثةٍ من فضائل هذه اللَّيلة المباركة، وهي: جعْل هذه اللَّيلة ذات سلامةٍ من كلِّ شرٍّ وأذى، وذات تسليمٍ من الملائكة على

---

(١) يُنظر: الفتوحات الإلهية بتفسير الجلالين للدقائق الخفية المعروف بحاشية الجمل على الجلالين (٥٦٧/٤)، وروح المعاني (٤١٩/١٥).

(٢) يس:٨٢.

(٣) الدخان: ٤، ٥.

(٤) الدخان: ٨.

(٥) تتمة أضواء البيان للشيخ/عطية محمد سالم (٣٧/٩).

المؤمنين، من بدايتها إلى نهايتها.

المراد بالسَّلام في الآية الكريمة:

ذكر المفسِّرون في المراد بالسَّلام في الآية الكريمة قولين:

أولهما: أنَّه مصدر معناه السَّلامة من الآفات والأذى، أي: ليلة القدر ذات سلامةٍ من كل شر وأذى.

ثانيهما: أنَّ معناه التسليم والتحيَّة، أي: ليلة القدر ذات تسليمٍ من الملائكة على المؤمنين.

ولا تعارض بين القولَيْن؛ لأنَّ الأول يشمل الثاني، والثاني جزءٌ من الأول، وبيان ذلك: أنَّ السَّلامة من الشَّر والأذى تشمل كلَّ خيرٍ، ومن الخير العظيم، سلام الملائكة على المؤمنين في ليلة القدر؛ تحيَّةً لهم، وثناءً عليهم، وفرحًا بهم كتسليمهم على أهل الجنة في الآخرة كما في قوله - تعالى-: { **وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**}(١).

هل الجملة الكريمة: { سَلَامٌ هِيَ} خبريَّة أو إنشائيَّة؟

الظَّاهر أنَّ الجملة الكريمة جملةٌ خبريَّة حيث يُراد بها الإخبار بأنَّ ليلة القدر ذات سلامٍ. وجوَّز العلَّامة ابن عاشورٍ أن تكون خبريَّة لفظًا إنشائية معنىً كذلك، وذلك حيث يقول- طيَّب الله ثراه -: " ثم يجوز أن يكون { **سَلَامٌ هِيَ**} مرادًا به الإخبار فقط، ويجوز أن يُراد بالمصدر الأمر، والتقدير: سلموا سلامًا، فالمصدر بدل من الفعل وعُدل عن نصبه إلى الرفع ليفيد التمكن مثل قوله - تعالى-: {

---

(١) الرَّعْد: ٢٣، ٢٤. ويُنظر: التحرير والتنوير (٤٦٥/٣٠)، وتتمة أضواء البيان (٣٨/٩) بتصرفٍ.

فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ}(١). والمعنى: اجعلوها سلامًا بينكم، أي لا نزاع ولا خصام". أهـ(٢).

قلتُ: كونها خبريَّة لفظًا ومعنىً أوفق بسياق النظم الجليل؛ لأنَّ المقصود الأعظم من سياق السُّورة الشريفة - كما قد علمتَ - التعريف بفضائل ليلة القدر، والإخبار أليق بالتعريف وأنسب، أضف إلى ذلك أنَّ الكلام على فرض كونها خبريَّةً لفظًا ومعنىً لا يحتاج إلى تقدير، أمَّا على فرض كونها خبريَّة لفظًا إنشائية معنىً يحتاج إلى تقدير، ولا يخفى أنَّ ما لا يحتاج إلى تقديرٍ أولى ممِّا يحتاج إلى تقدير، والله أعلم.

مرجع الضمير في قوله: { سَلَامٌ هِيَ }:

يصحُّ أن يكون ضمير { هِيَ } عائدًا على { الْمَلَائِكَة }، و { سَلَامٌ } بمعنى التسليم، والمعنى: أنَّ الملائكة يُسلِّمون على المؤمنين.

ويصحُّ أن يكون عائدًا على { لَيْلَة }، و {سَلَامٌ } أيضًا بمعنى التسليم، والمعنى: أنَّ اللَّيلة ذاتُ تسليمٍ من الملائكة على المؤمنين أو من بعضهم على بعض، ويصحُّ على هذا الوجه أن يُجعل { سَلَامٌ } بمعنى سلامة؛ أي: ليلة القدر ذاتُ سلامةٍ من كلِّ شرٍّ(٣)، ولا يخفى أنَّ عود الضمير على { لَيْلَة } أليق بسياق النظم الجليل، وأوفق بمقصود السُّورة الكريمة.

سر التعبير بـــــ «حتَّى» دون «إلى»:

واختير التعبير بـــــ « حتَّى» دون « إلى»؛ لإدخال الغاية، ليُفهِمَ أنَّ لِمَا بعد

---

(١) الذَّاريات: ٢٥.

(٢) التحرير والتنوير (٤٦٥/٣٠).

(٣) يُنظر: الدر المصون (٦٤/١١)، واللباب في علوم الكتاب (٤٢٩/٢٠، ٤٣٠)، وحدائق الروح والريحان (١٩٧/٣٢).

« حتَّى» حكم ما قبلها، فيكون مطلع الفجر داخلًا في حكم ليلة القدر أي: أنَّ ليلة القدر تمتد بعد مطلع الفجر بحيث إنَّ صلاة الفجر تعتبر واقعةً فيها(١).

وهذا من فضل الله - تعالى- على عباده ورحمته بهم أنْ وسَّع لهم وقتها؛ للفوز بأجرها، فله الحمد والمنَّة.

المراد بمطلع الفجر:

والمراد بمطلع الفجر: طُلُوعُه وظُهُورُهُ وبُزُوغُه.

موقع قوله - تعالى -:{ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} ممَّا قبله:

قوله - تعالى -:{ **حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**} غايةٌ لِمَا قَبْلَهُ مِنْ قَوْلِهِ: { **تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ**} إلَى قوله: { **سَلامٌ هِيَ**}؛ لبيان تعميم تنزُّل الملائكة والسَّلام كلَّ اللَّيلة، أَي: هي ليلةٌ يتتابع فيها تنزُّل الملائكة فوجًا بعد فوج إلى طلوع الفجر، وهي ليلةٌ كلُّها سلامٌ وأَمنٌ وكلُّها خيرٌ وبركةٌ من مبدئها إلى نهايتها(٢).

فائدة الإخبار بوقت انتهائها:

فإن قيل: ما فائدة الإخبار عن ليلة القدر بأنَّها { **حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**} مع أنَّ كلَّ ليلةٍ بهذه الصِّفة؟ **والجواب من ثلاثة وجوهٍ:**

أولها: دفع ما قد يُتوهم من أنَّ ذات ليلة القدر مغايرةٌ في المقدار لذوات سائر اللَّيالي؛ لأنَّه - سبحانه - لمَّا أخبر عنها أنَّها مخالفةٌ لسائر اللَّيالي في الصِّفة حيث إنَّها { **خَيْرٌ مِن أَلْفِ شَهْرٍ**}، كان ذلك مظنَّة توهم أنَّ ذاتها في المقدار مغايرةٌ لذوات اللَّيالي فيه - أيضًا- فدفع ذلك التوهم ببيان وقت انتهائها بقوله - تعالى-: { **هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**}، أي لم تخالف سائر اللَّيالي في ذلك وإنْ خالفتها في

---

(١) أفدتُه من نظم الدرر للبقاعي (١٨١/٢٢)، والتحرير والتنوير (٤٦٦/٣٠).

(٢) يُنظر: التحرير والتنوير (٤٦٦/٣٠) بتصرفٍ وزيادةٍ.

الفضل والخيريَّة(١).

ثانيها: تأكيد مدلول كلمة ليلة؛ لأن اللَّيلة قد تطلق على بعض أجزائها، فأخبر بوقت انتهائها؛ لبيان أنَّ جميع أحيان تلك اللَّيلة معمورةٌ بنزول الملائكة والسَّلام من مبدئها إلى نهايتها، وليس ذلك في بعض أجزائها فقط كما قد يُتوهم(٢).

ثالثها: تشجيع الناس وتحريضهم على كثرة العمل فيها قبل انتهائها(٣).

وبذلك أكون قد انتهيتُ ممَّا قصدتُ بيانه وذكره من تفسير سورة القدر، ولم يبق لي إلا أن أُسطر – لك أيها القارئ الكريم – في خاتمة هذا البحث بعض الفوائد المستنبطة من السُّورة الشريفة، فإليك بيانها.

---

(١) يُنظر: روح المعاني (٤٢٠/١٥) بتصرفٍ وتقديمٍ وتأخيرٍ.

(٢) يُنظر: التحرير والتنوير (٤٦٦/٣٠) بتصرفٍ.

(٣) المصدر السابق (٤٦١/٣٠) بتصرفٍ أيضًا.

الخاتمة (نسأل الله - تعالى - حسنها)

وتشتمل على

الفوائد المستنبطة من السُّورة الكريمة

بعد أن انتهيتُ – بعون الله وتوفيقه – من التفسير التحليلي للسُّورة الكريمة، يحسُن بي أن أختم بحثي هذا بذكر الفوائد الجليلة المستنبطة من بيان السُّورة الإلهي، وأذكر منها ما يلي:

إثبات نزول القرآن من عند الله، والردُّ على منكر ذلك:

في إسناد إنزال القرآن إلى الله العظيم- سبحانه - في قوله – تعالى -: { **إِنَّا أَنْزَلْنَاه في ليلة القدر**}(١) مع إفادة اختصاص الإنزال به – تعالى- وحده دون سواه، إثباتٌ لنزول القرآن من عند الله.

وفي افتتاح الآية الكريمة بـحرف التوكيد { إنَّ} المكسورة، والإخبار بالجملة الفعلية، تأكيدٌ لهذه الحقيقة- أعني إثبات نزول القرآن من عند الله- وتقريرٌ لها، وردٌّ على منكِرها أو الشاك فيها.

وقد أخبر- سبحانه - في غير ما آيةٍ بيّنةٍ أنَّ القرآن منزلٌ من عنده، أنزله على رسوله محمدٍ – ﷺ – بواسطة أمين الوحي جبريل - عليه السَّلام - كما قال - تعالى -: {**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**}(٢).

وقال: {**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا** }(٣).

وقال: { **وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣)**

---

(١) القدر: ١.

(٢) ص: ٢٩.

(٣) الإسراء: ١٠٦.

عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ}(١).

التنويه بشأن القرآن، والإعلاء من قدره:

في قوله – تعالى -: { **إِنَّا أَنْزَلْنَاه في ليلة القدر**}(٢) مزيدٌ من التعظيم والتفخيم للقرآن الكريم يُشعر بعلوّ شأْنه، وفخامة أمره، ورفعة قدره، وذلك من ثلاثة أوجهٍ:

أولها: إسناد إنزاله إليه - سبحانه - مع إفادة اختصاص الإنزال به – تعالى- وحده دون غيره.

ثانيها: التعبير عنه بضمير الغائب دون اسمه الظاهر في قوله: { أَنزَلْنَاهُ } مع عدم تقدُّم ذكره؛ شهادةً له بالنَّباهة والاستغناء عن التنبيه عليه؛ فكأَنَّه - لعلوّ شأْنه- حاضرٌ في الأذهان.

ثالثها: الرَّفع من شأن الوقت الذي أُنزل فيه(٣).

فضل اللَّيل على النَّهار:

يستنبط من قوله – تعالى -: { **إِنَّا أَنْزَلْنَاه في ليلة القدر**}(٤)، وقوله: **{ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ }**(٥) اختصاصُ اللَّيل بمزيد فضلٍ على النَّهار؛ وذلك لأنَّ ابتداء نزول القرآن، وكتابة الأقدار باللَّيل دليلٌ على أنَّ لليل خاصيةً ومزيةً؛ وممَّا يدلُّ على ذلك – أيضًا – أنَّ " أكثر الكرامات ونزول النفحات والأسرار في السَّموات يكون باللَّيل، واللَّيل من الجنَّة؛ لأنَّها محلُّ

---

(١) الشعراء: ١٩٢- ١٩٥.

(٢) القدر: ١.

(٣) يُنظر: الكشاف (٧٨٠/٤)، والتحرير والتنوير (٤٥٥/٣٠، ٤٥٦).

(٤) القدر: ١.

(٥) القدر: ٤.

الاستراحة، والنَّهار من النَّار؛ لأنَّ فيه المعاش والتعب، والنَّهار حظ اللِّباس والفراق، واللَّيل حظ الفراش والوصال، وعبادة اللَّيل أفضل من عبادة النَّهار؛ لأنَّ قلب الإنسان فيه أجمع، والمقصود من العبادة هو حضور القلب"(١)؛ ولذا أمر الله – تعالى – نبيَّه – ﷺ – بالاجتهاد في العبادة ليلًا؛ فقال: { **وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ** }(٢)، وقال: {**وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ**}(٣)، وقال: { **وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا** }(٤)، وقال: {**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا** }(٥). وأثنى – سبحانه- على المستغفرين ليلًا وقت السَّحر؛ فقال: { **الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ** }(٦)، وقال: {**كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**}(٧).

وقد أُكرم – ﷺ – بأُمورٍ جليلةٍ في الليل، منها: الإسراء قال - تعالى -: {**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا**}(٨). وانشقاق القمر، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ - ﷺ- بِمِنًى إِذَا انْفَلَقَ الْقَمَرُ فِلْقَتَيْنِ، فَكَانَتْ فِلْقَةٌ وَرَاءَ الْجَبَلِ، وَفِلْقَةٌ دُونَهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ - ﷺ-: « اشْهَدُوا »(٩).

---

(١) يُنظر: أضواء البيان (٣٨/٩) .

(٢) الإسراء: ٧٩.

(٣) ق: ٤٠.

(٤) الإنسان: ٢٦.

(٥) المزمل: ٦.

(٦) آل عمران: ١٧ .

(٧) الذاريات: ١٧، ١٨.

(٨) الإسراء: ١.

(٩) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب المناقب- بَاب سُؤَالِ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُرِيَهُمْ النَّبِيُّ- ﷺ- آيَةً فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ(٢٠٦/٤) رقم (٣٦٣٦)، وفي كتاب التفسير- بَاب {وَانْشَقَّ الْقَمَرُ

وإيمان الجنّ به؛ فعَنْ دَاوُدَ، عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَلْقَمَةَ هَلْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ - ﷺ- لَيْلَةَ الْجِنّ؟ قَالَ: فَقَالَ عَلْقَمَةُ، أَنَا سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ فَقُلْتُ: هَلْ شَهِدَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ - ﷺ- لَيْلَةَ الْجِنّ؟ قَالَ: لَا وَلَكِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَفَقَدْنَاهُ فَالْتَمَسْنَاهُ فِي الْأَوْدِيَةِ وَالشِّعَابِ. فَقُلْنَا: اسْتُطِيرَ أَوِ اغْتِيلَ. قَالَ: فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا هُوَ جَاءٍ مِنْ قِبَلَ حِرَاءٍ. قَالَ: فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ فَقَدْنَاكَ فَطَلَبْنَاكَ فَلَمْ نَجِدْكَ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ. فَقَالَ: «أَتَانِي دَاعِي الْجِنّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ » قَالَ: فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ وَسَأَلُوهُ الزَّادَ فَقَالَ: " لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ- ﷺ-: « فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ »(١).

وممَّا يدلُّ – كذلك – على تفضيل اللَّيل على النَّهار: نزول سورةٍ من القرآن تُسمَّى سورة اللَّيل، ولم تنزل سورةٌ تسمَّى سورة النَّهار، وتقديمه على النَّهار في

---

(١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا} [القمر: ١، ٢] (١٤٢/٦) رقم (٤٨٦٧)، والإمام مسلم في صحيحه في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم – باب انشقاق القمر (٢١٥٨/٤) رقم (٢٨٠٠)، والإمام الترمذي في جامعه في كتاب التفسير- باب سورة القمر (٣٩٨/٥) رقم (٣٢٨٧) كلهم عن عبد الله بن مسعود، واللفظ لمسلم.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الصَّلاة- بَابُ الْجَهْرِ بِالْقِرَاءَةِ فِي الصُّبْحِ وَالْقِرَاءَةِ عَلَى الْجِنّ (٣٢٣/١) رقم (٤٥٠). ومعنى (اسْتُطِيرَ) أَيْ: ذُهِبَ بِهِ بِسُرْعَةٍ كَأَنَّ الطَّيْر حَمَلته. يُنظر: النِّهاية في غريب الحديث والأثر (١٥٢/٣) مادة (طير). ومعنى (اغتيل) قتل سرًّا.
قال ابن منظور: " والغِيلة- بِالْكَسْرِ-: الخَدِيعة والاغْتِيال. وقُتِل فُلَانٌ غِيلة أَي خُدْعة، وَهُوَ أَن يَخْدَعَهُ فَيَذْهَبَ بِهِ إِلى مَوْضِعٍ، فإِذا صَارَ إِليه قَتَلَهُ وَقَدِ اغْتِيل. قَالَ أَبو بَكْرٍ: الغِيلة فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِيصال الشَّرِّ وَالْقَتْلِ إِليه مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ وَلَا يشعُر". أهـ لسان العرب (٥١٢/١١) مادة (غول).

غير ما آيةٍ من القرآن، كقوله – تعالى -: **{وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }**(١)، وقوله: **{ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ}** (٢)، وقوله: **{وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }** (٣)، وقوله: **{ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }** (٤)، وقوله: **{ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ }**(٥)، وقوله: **{ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }**(٦)، وقوله: **{ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ }** (٧)، وقوله: **{ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ}**(٨)، وقوله: **{ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى* وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى}**(٩)، وغير ذلك من الآيات.

وليالي الشَّهر سابقةٌ على أيامه؛ لأنَّ اللَّيل هو الأصل، وفيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهرٍ وليس في الأيام مثلها، ولا تُوجد في الليل ساعةٌ تُكره فيها الصَّلاة بخلاف النَّهار.

---

(١) الأنعام: ١٣.
(٢) إبراهيم: ٣٣.
(٣) النحل: ١٢.
(٤) الأنبياء: ٣٣.
(٥) النور: ٤٤.
(٦) القصص: ٧٣.
(٧) فصلت: ٣٧.
(٨) المزمل: ٢٠.
(٩) الليل: ١، ٢.

واللَّيل هو وقت الخلوة والاختصاص ومجالسة الملوك، وهو أشرف من مجالستهم نهارًا، وهو وقت مناجاة الأحبَّة، ومحلُّ استجابة الدعاء والغفران والعطاء(١).

ولا أدلَّ على ذلك من الحديث المتفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- قَالَ: « يَنْزِلُ رَبُّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى- كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»(٢)؛ ولهذا كلِّه يلتمس الصالحون من عباد الله الخيرَ في اللَّيل.

فضائل ليلة القدر:

عرفتَ فيما سبق أنَّ موضوع السُّورة الكريمة الذي تدور حوله هو الحديث

---

(١) يُنظر: مواهب الكريم المنَّان في الكلام على أوائل سورة الدخان (ص: ٥٢، ٥٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب التهجد– بَابُ الدُّعَاءِ فِي الصَّلاَةِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ (٥٣/٢) رقم (١١٤٥)، وكتاب التَّوْحِيدِ– بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: **{يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللَّهِ}** [الفتح: ١٥] (١٤٣/٩) رقم (٧٤٩٤)، ومسلم في كتاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا- بَابُ التَّرْغِيبِ فِي الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، وَالْإِجَابَةِ فِيهِ (٥٢١/١) رقم (٧٥٨). قال الإمام النووي – طيَّب الله ثراه- : " هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ وَفِيهِ مَذْهَبَانِ مَشْهُورَانِ لِلْعُلَمَاءِ: أَحَدُهُمَا: وَهُوَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ السَّلَفِ وَبَعْضِ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّهُ يُؤْمِنُ بِأَنَّهَا حَقٌّ عَلَى مَا يَلِيقُ بِاللَّهِ – تَعَالَى- وَأَنَّ ظَاهِرَهَا الْمُتَعَارَفُ فِي حَقِّنَا غَيْرُ مُرَادٍ وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي تَأْوِيلِهَا مَعَ اعْتِقَادِ تَنْزِيهِ اللَّهِ – تَعَالَى- عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ وَعَنِ الِانْتِقَالِ والحركات وسائر سمات الخلق.
والثاني: مذهب أكثر المتكلمين وَجَمَاعَاتٍ مِنَ السَّلَفِ، وَهُوَ مَحْكِيٌّ هُنَا عَنْ مَالِكٍ وَالْأَوْزَاعِيِّ أَنَّهَا تُتَأَوَّلُ عَلَى مَا يَلِيقُ بها بِحَسَبِ مَوَاطِنِهَا، فَعَلَى هَذَا تَأَوَّلُوا هَذَا الْحَدِيثَ تَأْوِيلَيْنِ: أَحَدُهُمَا: تَأْوِيلُ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَغَيْرُهُ مَعْنَاهُ تَنْزِلُ رَحْمَتُهُ وَأَمْرُهُ وَمَلَائِكَتُهُ، كَمَا يُقَالُ فَعَلَ السُّلْطَانُ كَذَا إِذَا فَعَلَهُ أَتْبَاعُهُ بِأَمْرِهِ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ عَلَى الِاسْتِعَارَةِ، وَمَعْنَاهُ الْإِقْبَالُ عَلَى الدَّاعين بالإجابة واللُّطف، والله أعلم". أهـ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٣٦/٦، ٣٧).

عن فضائل تلك الليلة المباركة – ليلة القدر-، وقد ذُكرت تلك الفضائل في السُّورة على النحو التالي:

الفضيلة الأولى: إنزال القرآن الكريم فيها.

الفضيلة الثانية: تفخيمها وتعظيمها بطريق الاستفهام في قوله: { **وما أدراك ما ليلة القدر**}(١).

الفضيلة الثالثة: جعْلها خيرًا من ألف شهرٍ.

الفضيلة الرابعة: نزول الملائكة المقربين فيها بالخير والبركة والرحمة، وفي مقدمتهم جبريل - عليه السَّلام.

الفضيلة الخامسة: جعْلها عين السَّلامة، يَسْلم الناس فيها من الآفات، وتُسلِّم فيها الملائكة على عباد الله الصَّالحين لِمَا يقومون به من جليل الطاعات، وذلك من مغرب شمسها إلى طلوع فجرها.

أضف إلى تلك الفضائل الجليلة: تخصيص سورةٍ كاملةٍ للحديث عن فضائل تلك الليلة المباركة، وبيان خصائصها.

ومن فضائل ليلة القدر في غير سورتنا الكريمة:

وصفها بالبركة في قوله – تعالى -: { **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ**}(٢)؛ لكثرة خيرها وفضلها، ومن بركتها نزول القرآن العظيم فيها، ونزول الملائكة الكرام.

قال الحافظ ابن كثيرٍ – عليه الرحمة- عند تفسيره لهذه الآية الشريفة: " يَقُولُ – تَعَالَى- مُخْبِرًا عَنِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: إِنَّهُ أَنْزَلَهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ، وَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ،

---

(١) القدر: ٢.

(٢) الدخان: ٣.

كَمَا قَالَ – تَعَالَى-: { **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**}(١)، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، كَمَا قَالَ- تَعَالَى- { **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**}(٢).....

وَمَنْ قَالَ: إِنَّهَا لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ -كَمَا رُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ- فَقَدْ أَبْعَدَ النُّجْعَة فَإِنَّ نَصَّ الْقُرْآنِ أَنَّهَا فِي رَمَضَانَ. وَالْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، عَنِ اللَّيْثِ، عَنْ عُقَيْلٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ: أَخْبَرَنِي عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- قَالَ: " تُقْطَعُ الْآجَالُ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى شَعْبَانَ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْكِحُ وَيُولَدُ لَهُ، وَقَدْ أُخْرِجَ اسْمُهُ فِي الْمَوْتَى"(٣)، فَهُوَ حَدِيثٌ مُرْسَلٌ، وَمِثْلُهُ لَا يُعَارَضُ بِهِ النُّصُوصُ". أهـ(٤).

ومن فضائلها – أيضًا - ما ثبت في الصَّحيحيْن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ- قَالَ: « **مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ** »(٥).

قال الإمام العيني – طيَّب الله ثراه -: " قَوْله: (إِيمَانًا) أَي تَصْدِيقًا بِأَنَّهُ حق وَطَاعَة. قَوْله: (واحتسابا) أَي: إِرَادَة وَجه الله – تَعَالَى- لَا لرياء وَنَحْوه، فقد يفعل الْإِنْسَان الشَّيْء الَّذِي يعْتَقد أَنه صَادِق، لَكِن لَا يَفْعَله مخلصا، بل لرياء أَو خوف

---

(١) القدر: ١.

(٢) البقرة: ١٨٥.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان – كتاب الصيام – باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان (٣٦٥/٥) رقم (٣٥٥٨).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٢٢٥/٧، ٢٢٦).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان – باب قِيَام لَيْلَةِ القَدْرِ مِنَ الإِيمَانِ (١٦/١) رقم (٣٥)، وكتاب الصوم – باب مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا وَنِيَّةً (٢٦/٣) رقم (١٩٠١)، وكتاب فضل ليلة القدر – باب فَضْلِ لَيْلَةِ القَدْرِ (٤٥/٣) رقم (٢٠١٤)، ومسلم في كتاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا – بَاب التَّرْغِيبِ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ، وَهُوَ التَّرَاوِيحُ (٥٢٣/١) رقم (٧٦٠).

أَو نَحْو ذَلِك، يُقَال احتسابا أَي: حَسبه الله – تَعَالَى. يُقَال: احتسبت بِكَذَا أجرا عِنْد الله تَعَالَى، وَالِاسْم الْحِسْبَة، وَهِي الْأجر". أهـ(١).

- **الندب إلى تحرِّي ليلة القدر للفوز بفضلها:**

في ذكر فضائل ليلة القدر في سورةٍ كاملةٍ تُتلى إلى يوم القيامة، وتُسمَّى باسمها إشارةٌ إلى تحرِّي وقتها، والتماس فضلها وأجرها.

وإنَّ ليلةً فخَّم الله أمرها، ورفع قدرها فأنزل فيها خير كتبه على أفضل رسله، وجعل العبادة فيها خيرًا من العبادة في ألف شهرٍ ليس فيها ليلة قدر، وتتنزل فيها الملائكة بالخيرات وفي معيتهم جبريل - عليه السَّلام، ويعمُّها السَّلام وتغشاها الرحمة من مغرب شمسها إلى طلوع فجرها؛ لهي جديرة بالاغتنام والإعظام.

فالسعيد مَنْ اغتنمها بالعبادة والطاعة، فكُتب له عظيمُ المثوبة والأجر، ومُحي عنه كلُّ ذنبٍ ووزرٍ، والمحروم مَنْ فاته وقتها، فحُرم أجرها، ومُنع خيرها.

وقد كان - ﷺ- يتحرَّاها ويعتكف لها في مسجده الشريف العشر الأواخر كلَّها؛ حرصًا على إدراكها، ويبيّن لأصحابه وأمته مواطنها في الوتر من العشر الأواخر، وينقطع عن كلِّ الشواغل من أجلها، ويُرغِّب في قيامها؛ فيقول: « **مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا** »(٢).

رحمة الله - تعالى - بعباده:

وتتجلَّى مظاهر تلك الرحمة من خلال سورتنا الكريمة في ثلاثة أوجهٍ:

أولها: الترغيب في اغتنام ليلة القدر بالطَّاعة والعمل الصَّالح.

ثانيها: جعْل العمل الصَّالح في ليلة القدر أكثر أجرًا، وأعظم فضلًا من العمل

---

(١) عمدة القاري (٢٢٦/١).

(٢) سبق تخريجه ص: ٦٥، ٦٦.

الصَّالح في ثلاثٍ وثمانين سنة وأربعة أشهر ليس فيها ليلة قدرٍ؛ ليستدرك الإنسان ما فرط من عمره في المعاصي والمحرمات، ويُذهب ما اقترفه من سيئاتٍ بالحسنات.

ثالثها: في ذكر هذه الليلة على الإبهام دعوةٌ للاستكثار من الأعمال الصَّالحات، والمسابقة في الخيرات، والمنافسة بالطاعات طوال الشهر الفضيل لا سيما العشر الأواخر منه، بخلاف ما لو علم الإنسان عينها؛ فإنَّه سيقتصر عليها دون غيرها، وهذا كلُّه من كمال رحمة الله الواسعة بعباده.

تفضيل الأزمنة بما يكون فيها:

يُستفاد من سورة القدر أنَّ الزَّمان يُفضَّل بعضه على بعض بما يُودِع الله فيه من فضله، وما يُحدِثُ فيه لعباده من جوده وكرمه، فهذه ليلة القدر قد فضَّلها الله على سائر الليالي؛ لما وقع فيها من نزول القرآن، وفرْق كلِّ أمرٍ من الأمور العظام، وتنزُّل الملائكة الكرام، وجعْلها أفضل من ثلاثةٍ وثمانين عامًا، ولا شكَّ أنَّ أعظم الليالي فضلًا، وأكثرها أجرًا ليلةٌ ينعم العبد فيها بالقرب من مولاه، ويُكثر فيها من الدعاء والمناجاة، يحضر بقلبه، ويشهد أسرار ربه.

قال الإمام العزُّ بنُ عبد السَّلام - عليه من ربه الرحمة والرضوان -: " اعْلَمْ أَنَّ الْأَمَاكِنَ وَالْأَزْمَانَ كُلَّهَا مُتَسَاوِيَةٌ، وَيَفْضُلَانِ بِمَا يَقَعُ فِيهِمَا لَا بِصِفَاتٍ قَائِمَةٍ بِهِمَا، وَيَرْجِعُ تَفْضِيلُهُمَا إلَى مَا يُنِيلُ اللَّهُ الْعِبَادَ فِيهِمَا مِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ؛ فَإِنَّ لَهُ أَنْ يُعَاقِبَ بِغَيْرِ كُفْرٍ وَلَا عِصْيَانٍ، وَيَتَفَضَّلَ بِغَيْرِ طَاعَةٍ وَإِيمَانٍ، وَقَدْ صَحَّ أَنَّهُ يُنْشِئُ فِي الْجَنَّةِ أَقْوَامًا وَفِي النَّار آخَرِينَ، وَكَذَلِكَ مَنْ خَلَقَهُ فِي الْجِنَانِ مِنْ الْحُورِ الْعَيْنِ.

وَتَفْضِيلُ الْأَمَاكِنِ وَالْأَزْمَانِ ضَرْبَانِ:

أَحَدُهُمَا دُنْيَوِيٌّ كَتَفْضِيلِ الرَّبِيعِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ الْأَزْمَانِ، وَكَتَفْضِيلِ بَعْضِ

الْبُلْدَانِ عَلَى بَعْضٍ بِمَا فِيهَا مِنْ الْأَنْهَارِ وَالثِّمَارِ وَطِيبِ الْهَوَاءِ وَمُوَافَقَةِ الْأَهْوَاءِ.

الضَّرْبُ الثَّانِي: تَفَضُّلٌ دِينِيٌّ رَاجِعٌ إلَى أَنَّ اللَّهَ يَجُودُ عَلَى عِبَادِهِ فِيهِمَا بِتَفْضِيلِ أَجْرِ الْعَامِلِينَ كَتَفْضِيلِ صَوْمِ رَمَضَانَ عَلَى صَوْمِ سَائِرِ الشُّهُورِ، وَكَذَلِكَ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَعَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ، وَيَوْمِ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ وَشَعْبَانَ وَسِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ شَوَّالٍ، فَضْلُهُمَا رَاجِعٌ إلَى جُودِ اللَّهِ وَإِحْسَانِهِ إلَى عِبَادِهِ فِيهَا، وَكَذَلِكَ فَضْلُ الثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنْ كُلِّ لَيْلَةٍ رَاجِعٌ إلَى أَنَّ اللَّهَ يُعْطِي فِيهِ مِنْ إجَابَةِ الدَّعَوَاتِ وَالْمَغْفِرَةِ وَإِعْطَاءِ السُّؤَالِ وَنَيْلِ الْمَأْمُولِ مَا لَا يُعْطِيهِ فِي الثُّلُثَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ، وَكَذَلِكَ اخْتِصَاصُ عَرَفَةَ بِالْوُقُوفِ فِيهَا، وَمِنًى بِالرَّمْيِ فِيهَا، وَالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ بِالسَّعْيِ فِيهِمَا، مَعَ الْقَطْعِ بِتَسَاوِي الْأَمَاكِنِ وَالْأَزْمَانِ، وَكَذَلِكَ تَفْضِيلُ مَكَّةَ عَلَى سَائِرِ الْبُلْدَانِ". أهـ(١).

وقال العلَّامة ابن عاشور - طيَّب الله ثراه -:" وَتَفْضِيلُهَا [يعني ليلة القدر] بِالْخَيْرِ عَلَى أَلْفِ شَهْرٍ إنَّمَا هُوَ بِتَضْعِيفِ فَضْلِ مَا يَحْصُلُ فِيهَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَاسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ وَوَفْرَةِ ثَوَابِ الصَّدَقَاتِ وَالْبَرَكَةِ لِلْأُمَّةِ فِيهَا؛ لِأَنَّ تَفَاضُلَ الْأَيَّامِ لَا يَكُونُ بِمَقَادِيرِ أَزْمِنَتِهَا وَلَا بِمَا يَحْدُثُ فِيهَا مِنْ حَرٍّ أَوْ بَرْدٍ، أَوْ مَطَرٍ، وَلَا بِطُولِهَا أَوْ بِقِصَرِهَا، فَإِنَّ تِلْكَ الْأَحْوَالَ غَيْرُ مُعْتَدٍّ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ - تَعَالَى- وَلَكِنَّ اللَّهَ يَعْبَأُ بِمَا يَحْصُلُ مِنَ الصَّلَاحِ لِلنَّاسِ أَفْرَادًا وَجَمَاعَاتٍ وَمَا يُعِينُ عَلَى الْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَنَشْرِ الدِّينِ. وَقَدْ قَالَ فِي فَضْلِ النَّاسِ: **{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ }**(٢)، فَكَذَلِكَ فَضْلُ الْأَزْمَانِ إنَّمَا يُقَاسُ بِمَا يَحْصُلُ فِيهَا؛ لِأَنَّهَا ظُرُوفٌ لِلْأَعْمَالِ وَلَيْسَتْ لَهَا صِفَاتٌ ذَاتِيَّةٌ يُمْكِنُ أَنْ تَتَفَاضَلَ بِهَا كَتَفَاضُلِ النَّاسِ فَفَضْلُهَا بِمَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لَهَا مِنَ

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٤٤/١، ٤٥).

(٢) الحجرات: ١٣.

التَّفْضِيلِ كَتَفْضِيلِ ثُلُثِ اللَّيْلِ الْأَخِيرِ لِلْقُرُبَاتِ".أهـ(١).

مكانة الأمة المسلمة عند الله:

أمة محمدٍ- ﷺ- أُمةٌ مصطفاة، اصطفاها ربُّها، واصطفى لها، واختارها، واختار لها، أكمل لها الدين، وأتمَّ عليها النَّعمة، ورضي لها الإسلام دينًا، أكرمها بمزيدٍ من الهبات والعطايا، ومنحها كثيرًا من الخصائص والمزايا لم تكن للأُمم قبلها، أعطاها الأجر الكثير على العمل القليل، وجعل لها مواسم مباركة، وأيامًا فاضلة، تصفو فيها النفوس، وتهفو إليها الأرواح، وتكثر فيها دواعي الخير، تُفتَّح فيها أبواب الجنَّات، وتتنزل الرحمات، وتُرفع الدرجات، وتُغفر الزَّلات، وتُحطُّ الأوزار والخطيئات، يتنافس فيها المتنافسون، ويتسابق إلى ميدان فضلها المتسابقون، يُجزل الله فيها العطايا والمواهب، ويفتح أبواب الخير لكلِّ راغب، ويُعظِّم أسباب التوفيق لكلِّ طالب.

ومن أعظم هذه المواسم الفاضلة التي امتنَّ الله بها على أُمَّة حبيبه- ﷺ-: تلك اللَّيلة المباركة - ليلة القدر- التي يتجلَّى الله فيها عليهم بعموم رحمته، وشمول مغفرته، فيرحم المسترحمين، ويغفر للمستغفرين، ويجيب دعاء الدَّاعين، ويُضاعف ثواب العاملين، ويتوب على التائبين، ويُعطي السَّائلين، وكلُّ ذلك محض فضله وكرمه.

قال القاضي ابن العربي – عليه الرحمة - في سبب هبة ليلة القدر لهذه الأمة والمنة عليهم بها: "والصحيح أنَّ ذلك فضلٌ من الله، ولقد أُعطيت أُمة مُحمَّدٍ من الفضل ما لم تُعطه أُمةٌ في طول عمرها، فأولها أن كتب لها خمسون صلاة

---

(١) التحرير والتنوير (٤٥٩/٣٠).

بخمس صلوات(١)، وطهَّر مالها بربع العشر، وأُعطيت خواتيم سورة البقرة مَنْ قرأها في ليلةٍ كفتاه(٢)- يعني عن قيام الليل-، وكتب لها أنَّ مَنْ صلَّى الصُّبح في جماعةٍ فكأنَّما قام ليلة، ومَنْ صلَّى العشاء في جماعةٍ فكأنَّما قام نصف ليلة. فهذه ليلة ونصف في كل ليلة(٣)؛ إلى غير ذلك ممَّا يطول تعداده.

ومن أفضل ما أُعطوا ليلة القدر التي هي خيرٌ من ألف شهر؛ وهذا فضلٌ لا يُوازيه فضلٌ، ومنةٌ لا يُقابلها شكرٌ". أهـ(٤)، فلله الحمد والشكر على جزيل نعمائه، وترادف مننه وآلائه.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الصَّلاة- بَاب: كَيْفَ فُرِضَتِ الصَّلاَةُ فِي الإِسْرَاءِ؟ (٧٨/١) رقم (٣٤٩)، وكِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ- بَابُ ذِكْرِ إِدْرِيسَ-عَلَيْهِ السَّلاَمُ (١٣٥/٤) رقم (٣٣٤٢)، ومسلم- كِتَاب الْإِيمَان– بَابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ- ﷺ- إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ (١٤٨/١) رقم (١٦٣). وفيه: « فَفَرَضَ اللَّهُ- عَزَّ وَجَلَّ- عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلاَةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ، حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: مَا فَرَضَ اللَّهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلاَةً، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُ، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، قُلْتُ: وَضَعَ شَطْرَهَا، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ، فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُهُ، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ، لاَ يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ».

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه- كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ- بَابُ فَضْلِ سُورَةِ البَقَرَةِ (١٨٨/٦) رقم (٥٠٠٨)، وبَابُ مَنْ لَمْ يَرَ بَأْسًا أَنْ يَقُولَ: سُورَةُ البَقَرَةِ، وَسُورَةُ كَذَا وَكَذَا (١٩٤/٦) رقم (٥٠٤٠)، وبَاب: فِي كَمْ يُقْرَأُ القُرْآنُ (١٩٦/٦) رقم (٥٠٥١)، ومسلم- كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا – بَابُ فَضْلِ الْفَاتِحَةِ، وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَالْحَثِّ عَلَى قِرَاءَةِ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ الْبَقَرَةِ (٥٥٤/١) رقم (٨٠٧)، (٥٥٥/١) رقم (٨٠٨).

(٣) قلتُ: الوارد في الحديث أنَّ مجموع صلاتي الصبح والعشاء في جماعة يعدل قيام ليلةٍ واحدة، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ- ﷺ-:« مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ، كَانَ كَقِيَامِ نِصْفِ لَيْلَةٍ، وَمَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ، كَانَ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ». أخرجه أحمد في مسنده (٥٢٦/١) رقم (٤٩١)، وقال محققوه: " إسناده صحيح على شرط مسلم".أهـ.

(٤) أحكام القرآن (٤٢٨/٤) بتصرفٍ.

الإيمان بوجود الملائكة الكرام:

وجود الملائكة ثابتٌ بدليل الخبر الصادق المتواتر عن الله ورسوله- ﷺ-؛ ففي كلٍّ من القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة الصَّحيحة نصوصٌ صريحةٌ تخبر بوجود الملائكة، منها: قوله – تعالى- في هذه السُّورة الشَّريفة:**{ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا}**(١)، ومنها: قوله - سبحانه-: **{ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ }**(٢)، وقوله: **{ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ }**(٣)، ومنها: قوله- ﷺ- عندما سأله جبريل - عليه السَّلام - عن الإيمان، قَالَ: **«أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»**(٤).

ومن ثَمَّ فإنَّ إنكار وجود الملائكة كفرٌ بنص قوله – تعالى -:**{ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا }**(٥)، على أنَّ الإيمان بنبوة محمدٍ- ﷺ- ونزول القرآن عليه يستلزم الإيمان بالملائكة، فإنكار وجودهم إنكارٌ للنبوة وللقرآن معًا(٦).

مكانة جبريل - عليه السَّلام - وعلو شأنه:

---

(١) القدر: ٤.

(٢) البقرة: ٢٨٥.

(٣) النحل: ٢.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه- كتاب الإيمان- باب معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ (٣٦/١) رقم (٨) عن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه.

(٥) النساء: ١٣٦.

(٦) يُنظر: كبرى اليقينيات الكونية للدكتور/محمد سعيد البوطي ص: ٢٧٣، ٢٧٤، فقد أفدتُ من عبارته.

علمتَ فيما مضى أنَّ القول الأرجح في المراد بالروح في قوله - سبحانه-:**{ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا}**(١) هو جبريل - عليه السَّلام -، وقد خُصَّ بالذكر عطفًا على الملائكة مع دخوله في عمومهم؛ لإظهار فضله، وعلو شأنه، وإبراز مكانته، وبيان قدره، فهو أمين وحي السَّماء، وسفير الله إلى الأنبياء، وأفضل الملائكة ورئيسهم(٢)، ذكره ربه في القرآن مُثْنيًا عليه وموضِّحًا عظمته وقوته، قال - سبحانه -: { **عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى** }(٣)، وقال - جل شأنه -: { **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ**}(٤).

ومع عظمة جبريل- عليه السَّلام - وفضله، فإنَّ نبينا محمدًا- ﷺ- أفضلُ منه، بل أفضلُ من جميع الخلق على الإطلاق بإجماع المسلمين حتَّى المعتزلة، ولم يعكر صفو هذا الإجماع سوى ما زعمه جار الله الزمخشري - ولا عبرة بزعمه- من تفضيل جبريل- عليه السَّلام - على سيدنا محمدٍ- ﷺ- مُستدلًا بآيات سورة التكوير الآنفة الذكر حيث وُصف فيها جبريل- عليه السَّلام - بعدة أوصافٍ تدل على فضله وعظم منزلته ومكانته، بينما وُصف سيدنا محمدٌ- ﷺ- بنفي الجنون عنه فقط في قوله - تعالى-: **{وَما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ}**(٥)، وذلك حيث يقول -

---

(١) القدر: ٤.

(٢) على المشهور من أقوال أهل العلم، فقد اتَّفقوا على أنَّ جبريل وميكائيل- عليهما السَّلام- أفضل جميع الملائكة، ثم اختلفوا في الأفضل منهما، فقيل: إنَّ جبريل أفضل، وهو المشهور، وقيل: إنَّ ميكائيل أفضل. يُنظر: حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد ص: ٢١٦.

(٣) النجم: ٥- ٧.

(٤) التكوير: ١٩- ٢١.

(٥) التكوير: ٢٢.

رحمه الله وعفا عنه -: " { **وَما صاحِبُكُمْ**} يعنى: محمدًا - ﷺ- { **بِمَجْنُونٍ**} كما تبهته الكفرة(١)، وناهيك بهذا دليلًا على جلالة مكان جبريل - عليه السَّلام- وفضله على الملائكة، ومباينة منزلته(٢) أفضل الإنس محمد - ﷺ-: إذا وازنتَ بين الذِكْريْن حين قُرن بينهما، وقايستَ بين قوله: { **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ** } وبين قوله: {**وَما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ**}". أهـ(٣).

قلتُ: لا دلالة في الآيات لِمَا ادَّعاه، ولا يُساعد السِّياق على ما تمنَّاه ورجاه، وذلك لأمرين:

أولهما: ليس المقصود من سياق الآيات المفاضلة بين جبريل- عليه السَّلام - وبين سيدنا محمدٍ- ﷺ، بل المقصود من السياق نفي كلام الكفَّار في سيدنا محمدٍ- ﷺ، وإبطاله ورده حيث قالوا: { **إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ**}(٤)، وقالوا: {**أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ**}(٥)، فردَّ الله - تعالى- عنه التهمتيْن، وأبطل القوليْن بمدح معلِّمه وبيان كونه أفضل الملائكة، ونفي الجنون عنه.

فإن قيل: مدح المعلِّم يدل على تفضيل جبريل؛ لكونه كان يعلمه- ﷺ. قلتُ: هذا وهمٌ؛ فكم من معلَّمٍ - بالفتح - أفضلُ من معلِّمٍ - بالكسر(٦)، وحسبك دليلًا

---

(١) أي: تتهمه بما ليس فيه.

(٢) يريد: ارتفاع منزلته على منزلة سيدنا محمدٍ- ﷺ.

(٣) الكشاف (٧١٢/٤).

(٤) النحل: ١٠٤.

(٥) سبأ: ٨.

(٦) يُنظر: حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد ص: ٢١٤، وشرح الصَّاوي على جوهرة التوحيد ص: ٢٩٥ بتصرفٍ كبير.

على ذلك: قصة موسى مع الخضر - عليهما السَّلام - المذكورة في سورة الكهف، فقد علَّم الخضرُ موسى المسائل الثلاث، وهو عبدٌ صالحٌ، وموسى نبيٌّ مكلَّمٌ، والأنبياء أرفع مكانةً، وأعلى منزلةً من غيرهم، كما هو معلوم.

ثانيهما: وصفت الآيات جبريل- عليه السَّلام - بعدة أوصافٍ تدل على فضله؛ لكونه مجهولًا لمشركي قريش، بخلاف سيدنا محمدٍ- ﷺ- فقد كانوا يعرفون حسبه ونسبه، وصدقه وأمانته، وخلقه وأدبه كما يُشير إليه قوله - تعالى -: **{صاحِبُكُمْ}**؛ لذا اقتصر السِّياق على نفي ما بهتوه به فقط(١).

محبة الملائكة لعباد الله المؤمنين:

استدل الفخر الرازي – عليه الرحمة – بقوله – تعالى -:**{ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ}**(٢) على أنَّ الملائكة استأذنوا ربَّهم أولًا في النزول فأذن لهم، قال: " وذلك يدلُّ على غاية المحبة؛ لأنَّهم كانوا يرغبون إلينا ويتمنون لقاءنا لكن كانوا ينتظرون الإذن". أهـ(٣).

قلتُ: وهذه فائدةٌ دقيقةٌ تدلُّ على حسن تدبر الإمام الفخر، وصحة فهمه، ورجاحة عقله، وسلامة ذوقه، وقد تجلَّتْ مظاهر محبة الملائكة للمؤمنين في كثيرٍ من الآيات، ووردت بها الأحاديث والروايات، ومن ذلك: **استغفارهم ودعاؤهم للمؤمنين،** قال – تعالى -: **{ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ**

---

(١) أفدتُ في بيان هذا الوجه ممَّا سطره قلم ابن المنيَّر السكندري في الانتصاف فيما تضمنه الكشاف (٧١٢/٤) هامش رقم (٢).

(٢) القدر: ٤.

(٣) مفاتيح الغيب (٢٣٣/٣٢).

رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }(١).

وسلامهم عليهم وتبشيرهم بالجنة عند الموت، قال - سبحانه -: **{ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}**(٢)، وقال: **{ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ}**(٣).

واستقبالهم إياهم في الآخرة بالبشر والتحايا، قال – تعالى -: **{ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ}**(٤)، وقال: **{ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ}**(٥).

وتثبيتهم وتأييدهم ونصرتهم على أعدائهم، كما حدث في غزوة بدر، قال – سبحانه -: **{إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي**

---

(١) غافر: ٧- ٩.
(٢) النحل: ٣٢.
(٣) فصلت: ٣٠- ٣٢.
(٤) الزمر: ٧٣.
(٥) الرعد: ٢٣، ٢٤.

قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ }(١).

وشفاعتهم لهم في الآخرة، قال الله مُخبرًا عن ملائكته: **{ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ }**(٢).

وقد ورد في السُّنَّة الصَّحيحة ما يدلُّ – كذلك - على محبتهم للمؤمنين، ومن ذلك:

دعاؤهم لمنتظر الصَّلاة بعد الصَّلاة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ- ﷺ-:« إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ، تَقُولُ: اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللهُمَّ ارْحَمْهُ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، وَأَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتِ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ»(٣).

ودعاؤهم لطالب العلم ومعلمه، عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، أَتَيْتُكَ مِنَ الْمَدِينَةِ، مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ-؛ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ-: قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: وَلَا جَاءَ بِكَ غَيْرُهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- يَقُولُ: « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا

---

(١) الأنفال: ١٢.

(٢) الأنبياء: ٢٦ – ٢٨.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ- بَاب فَضْلِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ وَانْتِظَارِ الصَّلَاةِ (٤٥٩/١) رقم (٦٤٩).

وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»(١). وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ- رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ-: «فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ » ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ-: « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ»(٢).

ودعاؤهم للمنفق ماله في سبيل الله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ- قَالَ: « مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»(٣).

وتأمينهم على مَنْ يدعو لأخيه المسلم بظهر الغيب، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ-: « مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ، وَلَكَ بِمِثْلٍ »(٤).

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه – افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم- بَاب فَضْلِ الْعُلَمَاءِ وَالْحَثِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ (٨١/١) رقم (٢٢٣)، وصحَّح إسناده محققه.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه – افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم- بَاب فَضْلِ الْعُلَمَاءِ وَالْحَثِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ (٤٩/١) رقم (٢٦٨٥)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ".أهـ، وصحَّحه محققه.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه – كِتَاب الزَّكَاةِ – بَابُ قَوْلِ اللَّهِ – تَعَالَى-: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل: ٦] (١١٥/٢) رقم (١٤٤٢)، ومسلم في صحيحه – كِتَاب الزَّكَاةِ- بَابٌ فِي الْمُنْفِقِ وَالْمُمْسِكِ (٧٠٠/٢) رقم (١٠١٠).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ- بَابُ فَضْلِ الدُّعَاءِ لِلْمُسْلِمِينَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ (٢٠٩٤/٤) رقم (٢٧٣٢)، وابن حبَّان في صحيحه – كتاب الأدعية – باب ذِكْر اسْتِحْبَابِ كَثْرَةِ دُعَاءِ الْمَرْءِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ رَجَاءَ الْإِجَابَةِ لَهُمَا بِهِ (٢٦٨/٣) رقم (٩٨٩)، وصحَّح إسناده محققه.

عبودية الملائكة لله، وعصمتهم من الذنوب:

قال الإمام الرَّازي – رحمه الله – عند تفسير قوله – تعالى -:**{ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ}**(١): " هذه الآية دالةٌ على عصمة الملائكة، ونظيرها قوله: **{وَما نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ }**(٢)، وَقَوْلُهُ: **{ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ }**(٣)، وفيها دقيقة وهي أنَّه – تعالى- لم يقل: مأذونين بل قال: **{بِإِذْنِ رَبِّهِمْ }** وهو إشارةٌ إلى أنَّهم لا يتصرفون تصرفًا ما إلا بإذنه، ومن ذلك قول الرجل لامرأته: إن خرجت إلا بإذني، فإنَّه يعتبر الإذن في كل خرجة". أهـ(٤).

قلت: وتلك هي العبودية الحقَّة ألَّا يفعل العبد شيئًا إلا بأمر سيده، ولا يتصرف إلا بإذن مولاه، فمبنى العبودية على التسليم والانقياد والاستجابة في فعل المأمورات وترك المنهيات. وهذه العبودية هي أشرف المراتب، وأعلى المناصب، شرفت بها ملائكة الله، وقد أخبر القرآن عنهم في غير ما آيةٍ أنَّهم دائمو الطَّاعة **{لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}**(٥)، **{يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}**(٦).

وأثنى عليهم ربهم ومدحهم بقوله: **{ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا**

---

(١) القدر: ٤.
(٢) مَرْيَمَ: ٦٤.
(٣) الْأَنْبِيَاءِ: ٢٧.
(٤) مفاتيح الغيب (٢٣٥/٣٢).
(٥) التحريم: ٨.
(٦) النحل: ٥٠.

يَفْتُرُونَ }(١)، وقوله: **{ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ }**(٢)، وقوله: **{ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ}**(٣)، وقوله: **{ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }**(٤)، وقوله: **{ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ }**(٥)، وقوله: **{ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ }**(٦).

وممَّا ينبغي التنبيه عليه في هذا المقام: أنَّ الملائكة قد جُبلت على طاعة الله وعبادته، ولا قدرة لها على معصيته، بل يُؤمرون فيُطيعون، بخلاف الجنِّ والإنس فإنَّهم مختارون في الطَّاعة والمعصية؛ ولذا ترى منهم مَنْ يطيع ربَّه، فيمتثل أمره، ويجتنب نهيه، ويُغالب شهوته، ويُخالف هواه، وترى منهم مَنْ يعصي، فيُوافق شهوته، ويتبع هواه، ويُغضب ربَّه بفعل نهيه، وترك أمره، كما أنَّ الجنَّ والإنس مكلَّفون بالأوامر والنواهي ابتلاءً وامتحانًا، فمَنْ أطاع أُثيب، ومَنْ عصى عُوقب، فتنبَّه.

بيان بداية ليلة القدر ونهايتها للحرص على اغتنامها:

---

(١) الْأَنْبِيَاءِ: ١٩، ٢٠.
(٢) الْأَعراف: ٢٠٦.
(٣) فصلت: ٣٨.
(٤) الزمر: ٧٥.
(٥) غافر: ٧.
(٦) الأنبياء: ٢٦ – ٢٨.

يُستنبط من قوله - تعالى -:**{ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}**(١) أنَّ ليلة القدر تبدأ من غروب الشمس وتستمر حتَّى طلوع الفجر، وللمطلع حكم اللَّيلة؛ لذا اختير التعبير بـــ «حتى» دون «إلى» ليُفهم أنَّ لِمَا بعدها حكم ما قبلها(٢).

وَالمقصود من ذِكْرِ نِهَايَتِهَا بِطُلُوعِ الْفَجْرِ أَن يَحْرِصَ النَّاسُ عَلَى كَثْرَةِ الْعَمَلِ فِيهَا قبل انتهائها(٣).

وبعد؛ فهذا آخر ما منَّ الله به عليَّ، ويسَّره لي من تفسير سورة القدر، فله الفضل والمنة، وهو أهل الحمد والثناء، فلولاه ما كنت ولا كان هذا الجهد، وكلُّ نعمةٍ فمنه وحده هو مبديها ومسديها، ويبقي هذا الجهد بشريًّا يعتريه النقص والخطأ ممَّا يدفعني أنْ أقرَّ بأنَّ ما فيه من صوابٍ فمن الله وحده، وما فيه من خطأٍ ونقصٍ فمني ومن الشيطان، وحسبي أنِّي اجتهدتُ، والخير قصدتُ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب.

والله أسأل أن يتقبل عملي هذا بقبولٍ حسنٍ، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفعني به في الدنيا والآخرة، وأن يثقل به ميزان حسناتي وحسنات والديَّ الكريمين، وأن يرحمهما رحمةً واسعةً، إنَّه سميعٌ قريبٌ مجيبٌ، وصلَّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، والحمد لله في البدء والختام.

دكتور:

ياسر أحمد مرسي محمد سطوحي

---

(١) القدر: ٥.

(٢) يُنظر: نظم الدرر للبقاعي (١٨١/٢٢).

(٣) يُنظر: التحرير والتنوير (٤٦١/٣٠).

مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بالقاهرة

أهم المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: كتب التفسير:

(١) أحكام القرآن للإمام أبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المتوفى سنة ٥٤٣هـ [طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت، تحقيق: محمد عبد القادر عطا].

(٢) أحكام القرآن للإمام أحمد بن علي أبي بكر الرازي الجصَّاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)

[دار إحياء التراث العربي - بيروت، سنة: ١٤٠٥هـ، تحقيق: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف]

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ/ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) [دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، الطبعة: ١٤١٥هـ / ١٩٩٥مـ].

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل لأبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي القاضي البيضاوي المتوفى سنة ٦٩١هـ [دار إحياء التراث العربي – بيروت، قدم له: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى].

(٥) انشراح الصَّدر في بيان ليلة القدر للعلامة/ شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد السنباوي، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية ع (٢/٢٥) دراسة وتحقيق الدكتورة/ قتيبة فوزي.

(٦) البحر المحيط للإمام محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي المتوفى سنة٧٤٥هـ [طبعة دار الكتب العلمية -بيروت، تحقيق: الشيخ عادل أحمد

عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: د/زكريا عبد المجيد النوقي، ود /أحمد النجولي الجمل، وقرظه د/عبد الحي الفرماوي، الطبعة الأولى١٤٢٢ هـ/٢٠٠١ م].

(٧) التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور[طبعة الدار التونسية للنشر سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م].

(٨) التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، [الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، الطبعة: الأولى - ١٤١٦هـ].

(٩) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، [دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي].

(١٠) التفسير التحليلي لسورة النساء للعلامة الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة المتوفى سنة ٢٠١٣هـ [مطبعة دار البيان بمصر].

(١١) تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ [ط، مؤسسة الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م].

(١٢) تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله - ﷺ- والصحابة والتابعين للإمام الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم المتوفى سنة ٣٢٧هـ [طبعة مكتبة نزار مصطفى الباز- مكة المكرمة، تحقيق: أسعد محمد

الطيب، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م].

(١٣) تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة٧٧٤ هـ[دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ].

(١٤) تفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا [مطبعة المنار ـ مصر، الطبعة الثانية سنة ١٣٥٠هـ].

(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ) [دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤٢٣ه، تحقيق: الدكتور/عبد الله محمود شحاتة] ـ

(١٦) تفسير المراغي للشيخ أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) [شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، سنة ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م].

(١٧) التفسير الوسيط للقرآن الكريم لشيخ الأزهر أ. د/ محمد سيد طنطاوي، [دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى].

(١٨) التَّفْسِيرُ البَسِيْط لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري المتوفى سنة٤٦٨هـ، قامت بتحقيقه لجنة علمية من جامعة الإمام محمد بن سعود في (١٥) رسالة دكتوراة [الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ه] ـ

(١٩) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة٦٧١هـ [طبعة دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية،

١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش].

(٢٠) حاشية الجمل على تفسير الجلالين المسماة الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية للعلامة/ سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري، المعروف بالجمل (المتوفى: ١٢٠٤هـ) [المطبعة العامرة الشرقية بمصر المحمية، الطبعة الأولى سنة ١٣١٣هـ].

(٢١) حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي علي تفسير البيضاوي للشيخ أحمد بن محمد بن عمر الملقب بشهاب الدين الخفاجي المتوفي سنة ١٠٦٩هـ [دار صادر - بيروت].

(٢٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي المتوفى سنة ٧٥٦هـ[طبعة دار القلم دمشق، تحقيق: د/أحمد محمد الخراط].

(٢٣) الدر المنثور للإمام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ[طبعة مركز هجر للبحوث والدراسات الإسلامية، تحقيق: د/ عبدالله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م].

(٢٤) روح البيان للشيخ إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي, المولى أبي الفداء المتوفى سنة: ١١٢٧هـ [دار الفكر - بيروت].

(٢٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام أبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي المتوفى سنة١٢٧٠هـ [طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت].

(٢٦) زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي المتوفى سنة٥٩٧هـ [طبعة المكتب الإسلامي

لزهير الشاويش].

(٢٧) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)[مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥هـ].

(٢٨) غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ) [دار الكتب العلمية – بيروت، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، الطبعة: الأولى سنة ١٤١٦هـ].

(٢٩) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى ٥٣٨هـ [مكتبة العبيكان، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: د/فتحي عبد الرحمن حجازي، الطبعة الأولي ١٤١٨ هـ /١٩٩٨م].

(٣٠) الكشف والبيان للإمام أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المتوفى سنة٤٧٢هـ [طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م].

(٣١) اللباب في علوم الكتاب للإمام أبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي المتوفى بعد سنة٨٨٠هـ [طبعة دار الكتب العلمية – بيروت، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ/١٩٩٨ م].

(٣٢) لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن) للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي المتوفي سنة ٧٤١ هـ[ط الحلبي].

(٣٣) محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي المتوفى سنة ١٣٣٢هـ

[طبعة دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى الحلبي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م].

(٣٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للإمام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المتوفى سنة ٥٤٦هـ [طبعة دار الكتب العلمية – بيروت، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م].

(٣٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي) للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي المتوفي ٧٠١هـ [ط دار النفائس ـ بيروت، تحقيق الشيخ: مروان محمد الشعار، طبعة ٢٠٠٥م].

(٣٦) معاني القرآن وإعرابه للإمام الزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري المتوفى سنة٣١١هـ[طبعة عالم الكتب، تحقيق: دكتور عبد الجليل عبده شلبي،الطبعة الأولى سنة١٤٠٨هـ/١٩٨٨م]

(٣٧) معالم التنزيل في تفسير القرآن لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) [دار طيبة للنشر والتوزيع، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م].

(٣٨) مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي المتوفى سنة٦٠٦هـ [طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م الطبعة: الأولى].

(٣٩) مواهب الكريم المنَّان في الكلام على أوائل سورة الدخان، وفضائل ليلة النصف من شعبان للعلامة المحدث نجم الدين الغيطي المتوفى سنة ٩٨١هـ [

كشيدة – العاشر من رمضان – مصر، الطبعة الأولى، سنة ١٤٣٥هـ / ٢٠١٣م، تحقيق وتقديم الدكتور/ محمد إبراهيم حامد].

(٤٠) النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، المتوفى سنة٤٥٠هـ [طبعة دار الكتب العلمية – بيروت، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم].

(٤١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري المتوفى سنة٤٦٨هـ [طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م].

ثالثًا: كتب علوم القرآن:

(١) الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ [طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم].

(٢) أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي المتوفى سنة ٤٨٦هـ[طبعة دار الإصلاح، الدمام، تخريج وتدقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ].

(٣) أسرار ترتيب القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ [دار الفضيلة للنشر والتوزيع].

(٤) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للشيخ محمد بن محمد أبي شهبة [ط مكتبة السنة بالقاهرة، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م].

(٥) إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين درويش [دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، الطبعة: الرابعة، ١٤١٥ هـ].

(٦) بحثان حول سور القرآن للعلامة الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة المتوفى سنة ٢٠١٣هـ [طبعة دار البصائر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م]

(٧) البرهان في ترتيب سور القرآن للإمام أبي جعفر بن الزبير أحمد بن إبراهيم الغرناطي المتوفى سنة ٧٠٨ هـ، دراسة وتحقيق الأستاذ محمد شعباني، طبع سنة ١٤١٠ هـ/١٩٩٠ م، من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية.

(٨) البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، المتوفى سنة ٧٩٤هـ[طبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،[الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م]

(٩) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للإمام الفيروز آبادي محمد بن يعقوب المتوفى سنة ٨١٧هـ، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار، طبع في دار الكتب العلمية، بيروت.

(١٠) البيان في عدّ آي القرآن للإمام عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، أبي عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)[مركز المخطوطات والتراث – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، تحقيق: غانم قدوري الحمد].

(١١) البيان في مباحث من علوم القرآن للعلامة الدكتور/ عبد الوهاب غزلان [دار البيروتي – دمشق، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م،

أخرجه وقرأه الدكتور/ أحمد محمد الفاضل].

(١٢) التبيان في إعراب القرآن للعلامة أبي البقاء العكبري عبد الله بن الحسين المتوفى سنة ٦١٦ هـ، تحقيق علي محمد البجاوي، طبع في مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

(١٣) جمال القراء وكمال الإقراء للإمام علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبي الحسن، علم الدين السخاوي (المتوفى: ٦٤٣هـ)[دار المأمون للتراث - دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، تحقيق: د. مروان العطيَّة - د. محسن خرابة].

(١٤) الدخيل في التفسير للعلامة الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة المتوفى سنة ٢٠١٣هـ [مطبعة دار البيان بمصر].

(١٥) علوم القرآن الكريم لنور الدين محمد عتر الحلبي [مطبعة الصباح – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م].

(١٦) الفرائد الحسان في عدِّ آي القرآن للشيخ عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: ١٤٠٣هـ) [مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى ١٤٠٤هـ].

(١٧) لباب النقول للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ[مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت، الطبعة الأولي ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م]

(١٨) مباحث في علوم القرآن للأستاذ صبحي الصالح [دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة والعشرون كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٠م.]

(١٩) مشكل إعراب القرآن لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي المتوفي سنة ٤٣٧هـ [مؤسسة الرسالة – بيروت، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، الطبعة

الثانية ١٤٠٥هـ].

(٢٠) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للإمام الحافظ المفسر المؤرخ / برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي (المتوفى ٨٨٥ هـ)[مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ /١٩٨٧م].

(٢١) المفردات في غريب القرآن للإمام أبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢ هـ[طبعة دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي]

(٢٢) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ العلامة محمد عبد العظيم الزرقاني المتوفى سنة ١٣٦٧هـ [طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت، تحقيق: أحمد شمس الدين ١٤١٦هـ،١٩٩٦م].

(٢٣) منة المنان في علوم القرآن للأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة [الطبعة الأولي ١٤١٥هـ /١٩٩٥م].

(٢٤) الموسوعة القرآنية المتخصصة لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين [طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، عام النشر: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م]

(٢٥) الانتصاف من الكشاف للعلامة أحمد بن محمد بن منصور الشهير بابن المنير الاسكندري المتوفى سنة ٦٨٣ هـ، الكتاب في هامش الكشاف.

(٢٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي أبي الحسن إبراهيم بن عمر المتوفى سنة ٨٨٥ هـ، طبع في دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.

رابعًا: كتب القراءات وتوجيهها:

(١) إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للعلامة الشيخ أحمد بن محمد البنا المتوفى سنة ١١١٧هـ[طبعة دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ،تحقيق: أنس مهرة]

(٢) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة للشيخ عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: ١٤٠٣هـ) [دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان].

(٣) التيسير في القراءات السبع لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ) [دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م].

(٤) حجة القراءات للإمام أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، المتوفى سنة٤٠٣هـ [طبعة مؤسسة الرسالة – بيروت، تحقيق: سعيد الأفغاني، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢م]

(٥) مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع للإمام أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، المتوفى سنة ٣٧٠هـ [مكتبة المتنبي، القاهرة]

(٦) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة ٣٩٢هـ، [وزارة الأوقاف- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، طبعة: ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م].

(٧) معاني القراءات للإمام محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبي منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) [مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م].

(٨) النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير

بابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ [ط دار الكتب العلمية، قدم له الشيخ علي محمد الضباع، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م]

خامسًا: كتب الحديث وشروحه وتخريجه:

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) [وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: ١٣٨٧هـ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي, محمد عبد الكبير البكري].

(٢) الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري) للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي المتوفي سنة ٢٥٦هـ [دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م].

(٣) جامع الترمذي للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩هـ [دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، الطبعة الأولى بدون تاريخ].

(٤) سنن ابن ماجه للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجه المتوفى سنة ٢٧٣هـ [طبعة دار الفكر - بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى بدون تاريخ].

(٥) شعب الإيمان لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد [مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ -

٢٠٠٣م].

(٦) صحيح مسلم للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفي سنة ٢٦١هـ [طبعة بيت الأفكار الدولية ـ الرياض، طبعة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م]

(٧) عمدة القاري شرح صحيح البخاري لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ) [دار إحياء التراث العربي – بيروت].

(٨) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ [ط دار المعرفة بيروت، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، الشيخ محب الدين الخطيب].

(٩) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة [دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م].

(١٠) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للإمام نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، المتوفى سنة٨٠٧هـ [دار الفكر ـ بيروت، ١٤١٢ هـ/١٩٩٢م]

(١١) المستدرك على الصحيحين للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري المتوفى سنة٤٠٥هـ [دار المعرفة بيروت، تحقيق: عبد السلام علوش، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م]

(١٢) المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١هـ [طبعة مؤسسة الرسالة، شعيب الأرنؤوط وآخرون، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م]

(١٣) المعجم الكبير للإمام سليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني، المتوفى سنة٣٦٠هـ [طبعة مكتبة العلوم والحكم – الموصل، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٣م].

(١٤) معرفة أنواع علوم الحديث، المعروف بمقدمة ابن الصلاح لعثمان بن عبد الرحمن، أبي عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: ٦٤٣هـ)، [دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر – بيروت، تحقيق: نور الدين عتر، سنة النشر: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م].

(١٥) منهج النقد في علوم الحديث لنور الدين محمد عتر الحلبي [دار الفكر دمشق-سوريا، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ -١٩٩٧م].

(١٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) [دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، سنة: ١٣٩٢هـ].

(١٧) الموضوعات للإمام العلامة أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزي القرشي المتوفى سنة ٥٩٧هـ [طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الأولى ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦م].

(١٨) وصل بلاغات الموطأ للإمام عثمان بن عبد الرحمن، أبي عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: ٦٤٣هـ)[المطبوعات الإسلامية – حلب، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة].

سادسًا: كتب الرجال:

(١) تهذيب التهذيب للإمام الحجة الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ [طبعة دار الكتب العلمية بيروت،

تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ /١٩٩٤م].

(٢) تقريب التهذيب للإمام الحجة الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ [طبعة دار الرشيد ـ سوريا، تحقيق محمد عوامة، طبعة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م].

(٣) الضعفاء الكبير لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي (المتوفى: ٣٢٢هـ) [دار المكتبة العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي].

سابعًا: كتب العقيدة:

(١) حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد المُسمَّى تحفة المريد على جوهرة التوحيد للإمام برهان الدين البيجوري بن الشيخ محمد الجيزاوي (المتوفى: ١٢٧٦ ه) [طبعة دار السلام، حققه وعلق عليه وشرح غريب ألفاظه: أ. د/ علي جمعة، الطبعة السادسة ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م].

(٢) كبرى اليقينيات الكونية للدكتور/ محمد سعيد رمضان البوطي [دار الفكر- بيروت] الطبعة الخامسة والثلاثون سنة ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م].

ثامنًا: كتب اللغة والبلاغة:

(١) أساس البلاغة للعلامة أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود [طبعة دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨م].

(٢) ألفية ابن مالك لمحمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبي عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ) [دار التعاون].

(٣) بديع القرآن لابن أبي الإصبع المصري عبد العظيم بن الواحد بن ظافر

المتوفى سنة ٦٥٤هـ، تقديم وتحقيق حفني محمد شرف، من إصدارات مكتبة نهضة مصر.

(٤) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة للأستاذ عبد المتعال الصعيدي [طبعة مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م].

(٥) تاج العروس من جواهر القاموس للسيد أبي الفيض محمد مرتضى الزبيدي المتوفى سنة١٢٠٥هـ [سلسلة أصدرتها وزارة الإرشاد والأنباء بالكويت، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج،الطبعة١٣٨٥هـ/١٩٦٥م].

(٦) التبيان في البيان للإمام شرف الدين الطيبي الحسين بن محمد بن عبد الله المتوفى سنة ٧٤٣ هـ، تناوله تحقيقًا ودراسة لنيل درجة الدكتوراه في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر الباحث عبد الستار حسين مبروك زموط، وأشرف عليه الأستاذ الدكتور كامل إمام الخولي، سنة ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧ م.

(٧) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن للإمام عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتوفى: ٦٥٤هـ)، [الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف].

(٨) تهذيب اللغة للإمام أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري المتوفى سنة٣٧٠هـ[طبعة دار إحياء التراث العربي- بيروت، تحقيق: محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى/ ٢٠٠١ م].

(٩) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك لأبي العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (المتوفى: ١٢٠٦هـ) [دار الكتب العلمية بيروت-

لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م].

(١٠) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (المتوفى: ٨٣٧هـ) [دار ومكتبة الهلال- بيروت، دار البحار- بيروت، الطبعة الأخيرة: ٢٠٠٤م، تحقيق: عصام شقيو].

(١١) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك لعلي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (المتوفى: ٩٠٠هـ) [طبعة دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م].

(١٢) الصحاح [تاج اللغة وصحاح العربية] لإسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة ٣٩٣هـ [طبعة دار العلم للملايين بيروت، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، الطبعة الرابعة١٤١٠هـ/١٩٩٠م].

(١٣) لسان العرب للإمام العلامة جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري المتوفى سنة ٧١١هـ [طبعة دار الكتب العلمية بيروت، تحقيق: عامر أحمد حيدر، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م].

(١٤) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب للإمام عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبي محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ) [دار الفكر – دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥م، تحقيق: الدكتور/ مازن المبارك / محمد علي حمد الله].

(١٥) مقاييس اللغة للإمام أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا المتوفى سنة٣٩٥هـ[طبعة اتحاد الكتاب العرب، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون، طبعة ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢م].

(١٦) موصل الطلاب إلي قواعد الإعراب للشيخ/ خالد بن عبد الله بن أبي

بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري(المتوفى: ٩٠٥هـ)[الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١٥هـ / ١٩٩٦م، تحقيق: عبد الكريم مجاهد].

(١٧) نهاية الأرب في فنون الأدب لأحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ) [دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ه] ـ

(١٨) النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، المتوفى سنة٦٠٦هـ [ط المكتبة العلمية - بيروت، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، ط ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م].

(١٩) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)،تحقيق: عبد الحميد هنداوي [طبعة المكتبة التوفيقية – مصر].

تاسعًا: كتب أُخرى:

(١) إيضاح المبهم من معاني السلم للإمام أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري المتوفى سنة ١١٩٢هـ [دار البصائر – القاهرة – مصر، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م].

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للإمام أبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ) [مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، طبعة سنة: ١٤١٤هـ /١٩٩١م، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد].

* * *

فهرس موضوعات البحث

الموضوع **الصفحة**

مقدمة ٤٧٥
تمهيد ٤٧٧
بين يدي السُّورة الكريمة ٤٧٧
المطلب الأول: أسماء السُّورة الكريمة ووجه التسمية بها: ٤٧٧
المطلب الثاني: عدد آياتها وكلماتها وحروفها: ٤٨٠
المطلب الثالث: موضوعها: ٤٨١
المطلب الرابع: تحقيق القول فيما ورد في فضلها: ٤٨١
المطلب الخامس: زمان نزولها: ٤٨٣
المطلب السادس: ترتيبها: ٤٨٧
المطلب السَّابع: تحقيق القول فيما ورد في سبب نزولها: ٤٨٨
المطلب الثامن: مناسبتها لما قبلها: ٤٩٥
المقصد، ويتضمن التفسير التحليلي للسُّورة الكريمة ٥٠١
أولًا: القراءات الواردة في السُّورة الكريمة ٥٠١
ثانيًا: المباحث العربية ٥٠٣
الخاتمة ٥٥٤
أهم المصادر والمراجع ٥٧٥
فهرس موضوعات البحث ٥٩٢

* * *